

قِصَّةُ الْحَلَّاجِ

وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ أَهْلِ بَنْدَاد

تَحْقِيقُ د. رَامَةَ

سَعِيدُ عَمِّدُ الْفَتْحِ

الناشر
الملكة الزهراء للتراث

٩ درج الأثرات خلف الجامع الأزهر الشريف

٢٠١٣ : ٥

② مِنْ تَرَاثِ الْحَدَّاجِ

قِصَّةُ الْحَلَّاجِ

وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ أَهْلِ بَغْدَادَ

تَحْقِيقُ وَرَاسَةٌ

سَعِيدُ عَمَّارٍ الْفَنَاحِ

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الانراك - خلف الجامع الأزهر الشريف

ت: ٥١٢٠٨٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الوقود

إلى الحلاج
الذي سلب منه الجسد
ليظل باقياً

سعيد

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

«اللهم لك الحمد حمداً دائماً مع خلودك، ولك الحمدُ حمداً لا مُنتهى له دون مشيتك، ولك الحمد حمداً لا يزيد قائلها إلا رضاك، ولك الحمد حمداً ملياً عند كل طرفة عين وتَنَفُّسٍ نفس».

اللهم صَلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حقُّ قدره ومقداره العظيم.

ثم أما بعد:

فهذا كتاب «قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد» كنت قد قرأته مخطوطاً أثناء عملى فى التحقيق لبعض الكتب الصوفية، وهو (معجم المصطلحات الصوفية)^(١) إذ كُنت مأخوذاً بما فى يديّ، ولكنى حين قرأتُ هذا النص عن الحلاج تمنيت لو حققته أيضاً، ولم أكن وقتها -حتى سنة ١٩٩٠م- قد اطلعت على نسخة (أخبار الحلاج) التى حققها (ماسينيون)، ولم أقرأ ما كُتب عنه بالفرنسية، إذ أنى لا أجيدها، باستثناء قراءتى لما كُتب عنه باللغة العربية فى بطون المراجع القديمة، والحديث على السواء. ولكن الأمر كان يُمثّل لنا على أن الاقتراب من العمل فى أى نص للحلاج هو اقتراب من حقل الغام مائل للانفجار الآن، وظلت هذه النقطة تؤرّقنى محاولاً الخوض فى هذه المنطقة المحرّمة بأمنيات وقلب المحب لتراث وطنه، إذ كيف يُقدّم الحلاج بقلم فرنسى ولا يتم تحقيقه على يد مُحب من أبناء الوطن، حتى وجدت الفرصة أثناء قراءتى لكتاب (تاريخ التراث

(١) هو كتاب (لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام) لعبد الرزاق القاشانى معجم المصطلحات الصوفية. طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦م نفذت طبعته الأولى وبعاد بنفس المكان طبعه للمرة الثانية، فى مجلدين كبيرين أيضاً كطبعته الأولى.

العربي) الذي صنعه التركي المقيم بألمانيا (فؤاد سزكين) تقول: إن ماسينيون لم يطلع على هذه النسخة، وبالتالي لم يحققها، ولكنه حقق فيما يبدو مثيلاتها. وحتى الوقت الذي أحكى لك عنه كنت فرحا بقراءتي لقصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد، فالتهمتها إذ إنها تُحكى وتُصاغ بروح عامة هذا الشعب. ثم لا ضير إن كان حققها ماسينيون أم لا، وبدأت أجرؤ على تحقيقها، واشتد عزمي وقوي أن وجدت بعض الأصدقاء يشدّون من أزرى وقتها، حتى أن الصديق الكاتب جمال الغيطاني قد أخذها فور الانتهاء من تحقيقها ونشرها منجّمة على صفحات جريدة (أخبار الأدب) ثم نشرها في جهاز الثقافة الجماهيرية في سلسلة جديدة في سلسلة (الذخائر) قدمها في العدد الثالث مباشرة في شهر مارس سنة ١٩٩٦م.

وفوجئت بنفاد نسخها في نفس اليوم التي وُزعت فيه على باعة الجرائد تقريبا. وحمدت الله أن روح المثقفين والعوام هامت مع الحلاج يناصرون قضيته وفرحين بأن التحقيق الذي قُدّم كان على مستوى النص وشجعني هذا الاستقبال الحافل لصدور الكتاب بنفاد طبعته، ومناقشة النص وقراءته أن أجرؤ مرة أخرى وأقدم نصّ (أخبار الحلاج) محققاً في مصر والعالم العربي لأول مرة أيضاً^(١). بعد أن ظل الاقتراب من هذه الأعمال منطقة محرمة لا يجوز اختراقها. فالحمد لله أن قُدّمت النصوص بتحقيق جديد، وقراءة جديدة، ووعي جديد، أيضاً، ونحن إذ نشكر للمستشرق ماسينيون مبادرته لتقديمه نصوصاً عن الحلاج وتحقيقها، لا بد أيضاً أن نشير إلى أهمية أن نقرأ النص بدون تأثيرات خارجية عنه، حتي نتمكن من فهم ما يقدم دون التأثير على مشاعرنا بالسلب أو بالإيجاب، وإن كان الأفضل أن يُقرأ النص بروح من يفهمون طبيعة هذه الشخصية، فإن الإضاءة التي تشع منهم بفهمهم لهذا النص وهذه الشخصية وطبيعة علاقاتها يمكن أن تتم بسرعة دون تقديم الافتراضات لأن الأمر بالنسبة لهم لا يحتاج إلى كل ذلك.

(١) نُشر بالمشقة الأزهرية للتراث ٢٠٠٠م.

أخيراً أدعو القارئ الكريم أن يعيد النظر فيما قُدم من نص (قصة العلاج وما جرى له مع أهل بغداد) ونص (أخبار العلاج) والنصوص والملاحق في آخره ليرى قيمة عملنا فيه.

والله أسأل أن يجعل كل ذلك في صحيفة عملى وميزان حسناتى يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المحقق

سعيد عبد الفتاح

غرة المحرم ١٤٢١ هـ

الموافق أبريل ٢٠٠٠ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

لاشك أننا نكتشف مع قصة الحلاج أداءً جديداً لهذا الضمير الشعبي، وهذه الروح الشعبية التي تحرص دائماً على أن تصهر تراث الإنسان كله في بوتقتها تحتضن منه ما تريد لتبقيه حياً مضيئاً، تحنو عليه وتعيد إنتاجه بطريقتها الجذابة الموحية بالشجن والعشق كما تبقى - أيضاً - ما تريد لتسخر منه في تراث النكتة، والحكمة، والعبارة الصافية المعبرة.

قدمت للقارئ دُرَّةً جديدة كانت منعممة في تراب النسيان. ما أزعجت إلا هذا التراب لتبرق من جديد، وتعيش أمام أصحاب الأبصار والأفئدة؛ الذين يكثرثون بهموم وطنهم، ويرون وراء كل شئ ما لا يراه معدمو الأبصار.

وربما تسأل بعض الناس: مَنْ مؤلف هذه الدُرَّة؟ وقد طرحت هذه الفكرة في حديثي عن حدس الجماعة الشعبية، وأنه مهما وجد من مؤلف، أو أصل فردي صاغ هذا النص فلأنما صاغه وكتبه بروح عشاقه ومحبيه من هذه الجماعة الشعبية، التي، هي وحدها، تصوغ ما تريد بخيالها ورؤاها. ولذا قدمت للقارئ بعض الأفكار التي قد تُذكره بحياة الحلاج الحقيقية - والتي أصابها هي أيضاً الغموض - ليسير داخل النص ويرى كيف يصهر الضمير الشعبي الحيات في حياة واحدة.

في هذا النص سيرى القارئ كيف يتجاوز التصوف، مع الحياة السياسية، مع الحياة الاجتماعية، مع طبيعة تفكير البسطاء في الشارع وعلاقاتهم بالعالم. فضلاً عما تتضمنه هذه القصة من الإشراف الكشفي، والفني معاً.

سعيد عبد الفتاح

٢٦ أبريل ١٩٩٣

حدس الجماعة الشعبية

(١)

كيف يتفد المرء إلى ما وراء الصيغ والعبارات، ليصل إلى الحركة الكامنة في عمق المعنى ومعنى العمق؟ وأين تكمن المعرفة الحدسية عند الجماعة الشعبية، لتحضن ذوات الأشياء لا أوجهها؟ وكيف يحقق الضمير للجماعة الشعبية تحررها، بعيداً عن التحليل والتركيب، وفك عناصر الأمور المعقدة؟ وكيف؟ .. وكيف؟

نحن هنا إزاء إحساس خاص لضمير ونفس الجماعة الشعبية، وتدفق حالاتها في نمط آخر من أنماط تجاربها المتعددة. مثل احتضان تجربة «عترة بن شداد»، والدفاع عنه وتأكيد حقه الطبيعي في الحياة. ومضافة هناك بين واقع شخصية عترة، وبين ما رسمه الضمير الشعبي بخياله. وكيف أتاح حدس هذه الجماعة. أن يدخل نمطاً آخر يرى أنه يستحق الدفاع عنه، وتكريمه، وتخليده. هل لأنه يستحق التكريم والخلود بما قدم؟ أم لأنه مخالف للنظام الرسمي والسلطة؟ أم... إلخ.

هل تجاوب الجماعة الشعبية مع شخصية مثل شخصية الحلاج يعنى أنها - أى الجماعة - تفهمت طبيعة ما تقدمه هذه الشخصية للناس وللحياة ومن هنا كان الإيمان والدفاع؟ هل صورة هذه الشخصية عند الجماعة الشعبية نوع آخر من صور الطويلة التي ترتقبها؟ أسئلة كثيرة في الحقيقة يجب أن تطرح.

فالجماعة الشعبية حينما تؤمن بقضية مثل قضية الحلاج الصوفى الشهير. لا تكتفى بإيمانها، وإنما تعمل على توصيل مفهومها لهذا الإيمان. بل والدفاع عنه. وهى تعلم تماماً أنها تخالف بذلك كل القوانين التي تسيّرُها أو ترغب في تسييرها. بل وتعلن عامدة المخالفة للأفكار التي تفرض عليها.

فكتابة قصة مثل «قصة الحلاج» وروايتها في الطرق أو على المقاهى أو في التجمعات الليلية مثل الموالد والحفلات الدينية وغيرها، يعد بكل المقاييس احتضان

هذه الجماعة لهذه الشخصية - بعد الإعجاب بها بالطبع - وإلا ما الذى يجعلها - هي الجماعة المحافظة - تؤمن بأن ما قيل حول زندقة وكفر الحلاج مجرد اتهام لا أساس له من الصحة .

وكذلك اتهامه بأنه اتصل بالقرامطة والإسماعيلية ونشر أفكارهم وهذا يخالف النظام العباسى . . إلخ .

وهو الذى قام بالتشهير به والمناداة عليه فى الشوارع بمخالفاته تلك^(١) التى اتهموه بها واستناد السلطة بالقطع إلى آراء بعض الفقهاء والعلماء لتأكيد الاتهامات جعل الضمير الجماعى يعيد له حقه بتمجيده وتخليده ونشر، وحفظ آثار عنه . وجعل هذه الشخصية لا تزال ماثراً جدل أكثر من ألف ومائة عام منذ قتل الحلاج سنة ٣٠٩ هجرية حتى الآن .

وليس ما تفعله الجماعة نحو كتابة القصص والأشعار عنه لتمجده أو تخلده فقط ، بل لتدين عصرًا بأكمله تواطأ فيه رجاله : فقهاؤه ، وخاصته مع النظام القائم . . وما تمَّ فى هذا العمل يعبر بالقطع عن حدس الجماعة الشعبية بامتلاكها وجدانًا قويًا تعاطفت به ، وليس هذا التعاطف وجدانيًا فحسب وإنما تعاطف عقلى نفاذ يكشف عن مكونات هذه النفوس ، ووعيها ، وفهمها لطبيعة ما يحدث خلف الأستار ووراء وراء المكنون من الأشياء .

(٢)

وإذا ما انتقلنا إلى نقطة أخرى لها قدر كبير من الأهمية وهى . من يؤلف هذه النصوص الأدبية؟ أو هذا النوع من الأدب الشعبى الشفاهى . هل من المعقول أن الجماعة الشعبية كلها تجتمع لتؤلف نصًا أو تكتب سيرة مثل ما حدث أو قصة كما للحلاج وغيره؟

وبعد عدد من الافتراضات أقول كما قالت الدكتورة نبيلة إبراهيم فى كتابها؛ «أشكال التعبير فى الأدب الشعبى»^(٢):

«لم يبق سوى أن نفترض الأصل الفردى للإنتاج الشعبى ، وهذا الفرد الخلاق

(١) حدث ذلك سنة ٣٠١ هـ قبل القتل بشماني سنوات .

(٢) الدكتورة : نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير فى الأدب الشعبى . طبعة دار المعارف - القاهرة .

لا يعيش حياة ذاتية، بعيدة عن المجموع. وإنما يعيش حياة شعبية صرفاً. وهو بما له من نشاط إبداعي خلّاق يخلق الكلمة المعبرة التي سرعان ما تلقى هوى بين أفراد الشعب جميعه. إذ تكمن فيها روحه وتجاربه ومشكلاته^(١). ولعل هذا يؤكد فكرة الحدس عند الجماعة الشعبية. فهي بحدسها تشيع الإحساس في نفس المؤلف الفردي، وهي المستقبل لنوع التأليف والمحافظة عليه تُبقى منه ما تريد بترديده وتناقله، ليشيع ويملاً الأسماع. وتخفى منه ما تريد.

ولابد أن أعرض في الصفحات القادمة صورة لهذا الحدس الذي يدين عصرًا كان فيه الظلم سبباً من الأسباب الرئيسية لقتل شخصية صوفى كبير مثل الحلاج. صورة الخيال الشعبى، والذكاء الشعبى لفهم طبيعة هذه الشخصية، التي كان ذنبها أنها آمنت، وأحبت، وأخلصت في وقت كانت فيه هذه القيم النبيلة ذنوباً وخطايا، عند أصحاب السلطان^(٢).

(٣)

ولنبداً القصة المسماة بقصة الحلاج. لنرى كيف يرويها الخيال الشعبى. وكيف يرسم ملامح هذه الشخصية باعتبارها تستحق الخلود والذكر.

يقدم الراوى حلم السيدة ونذرهما: إن رزقها الله بولد فسوف تهبه إلى أهل الله يتعلم الدين والقرآن ويخدمهم. ويحقق الله دعاءها ويلبى طلبها. وهذا الطفل الذى ترزق به فيما بعد هو: «الحسين بن منصور الحلاج».

عندما يبلغ من العمر ثمانى سنين، تذهب به إلى الشيخ الجنيد^(٣) راجية قبوله خادماً لأهل الله، وفاءً للنذر، فيقبله منها، وتبدأ رحلة الطفل الجديدة فى الحياة.

ولعل من الطبيعى أن أقرر هنا - ما ذكرته كل المصادر - أن الحلاج لم يكن فى الواقع يوماً ما مريداً للجنيد. وإنما صَحِبَه وطلب مشورته وهو فى الطريق. بعد أن

(١) من المعلوم أن واقعة قتل الحلاج تمت فى عهد المقتدر بالله، الذى أزيح عن الخلافة مرتين ثم عاد إليها وقتل هو الآخر فى نهاية أمره. انظر فى ذلك تاريخ الخميس فى أحوال أنفُس نفيس للديار بكري ٢٤٨/٢ وما بعدها، والتويرى فى نهاية الأدب ٢٣/٢٣-١٠٣).

(٢) ستجد له ترجمة أول بداية نص الحلاج المحقّق.

دخله على يد «سهل بن عبد الله التُّستري»^(١) ثم صَحِبَ «عمرو بن عثمان المكي»^(٢) الذي ألبسه خرقة الصوفية. ثم ذهب إلى بغداد مستنصحاً بالجنيذ، وكان وقتها لم يبلغ من الطريق ما بلغ إلا أنه قد عرف منهجه، والذي يخالف فيه منهج الجنيذ.

لكن الخيال الشعبي يرسم ملامح خاصة به ويجعل فيها الحلاج مريداً للجنيذ. فكيف رسم هذه الصورة.

يستقبل الجنيذ حسين ويقول له:

يا ولدي حسين إخدم الفقراء في الزاوية حتى تنال الخير فيقول له حسين:

السمع والطاعة لله ثم لك.

(١) (سهل بن عبد الله التُّستري) هو: سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن ربيع، وكُنِيَتْهُ أبو محمد، أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين في علوم الرياضات والإخلاص وغير ذلك.. صحب خاله محمد بن سُوَّار، وشاهد ذا النون المصري سنة خروجه إلى الحج بمكة. أسند الحديث، وتحدث في علوم القوم كان يقول: (من أحب أن يطلع الخلق على ما بينه وبين الله تعالى فهو غافل).. وكان يقول: (الأعمال بالتوفيق، والتوفيق من الله، ومفتاحه الدعاء والتضرع). توفي رحمه الله سنة ٢٨٣ هـ.

انظر ترجمته في: أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠ / ١٨٩، الشعراني: الطبقات الكبرى ١ / ٩٠، ابن خلكان وفيات الأعيان ١ / ٢٧٣، ابن العماد: شذرات الذهب ٢ / ١٨٢، السلمي: طبقات الصوفية ٦-٢ المناوي الكواكب الدرية ١ / ٤٢٩، الجامي: نفحات الأنس ٢١٣، البغدادي: هدية العارفين ١ / ٤١٢، الهجویری: كشف المحجوب ١٦٧، النبهاني: جامع كرامات الأولياء ٢ / ٣٥، ابن الجوزي: صفة الصفوة ٤ / ٤٦، الرسالة القشيرية ١٨.

(٢) (عمرو بن عثمان المكي) هو: عمرو بن عثمان بن كُرب غُصَص، وكُنِيَتْهُ أبو عبد الله. كان يتسب إلى الجنيذ في الصحبة، ولقى أبا عبد الله النَّبَاجِي، وصحب أبا سعيد الخراز وغيره من المشايخ.

كان أستاذ الحسين بن منصور الحلاج. ثم لم يوافقه في بعض ما شهر عنه. فحدثت بينهم خصومة توفي، رحمه الله، ببغداد سنة ٢٩٦ هـ قبل قتل الحلاج بمدة. كانت له أقوال في علوم القوم منها: «المعرفة: صحة التوكل على الله تعالى».

انظر ترجمته في: السلمي: طبقات الصوفية ٢٠٠، أبو نعيم: حلية الأولياء ١٠ / ٢٩١، الرسالة القشيرية ٢٨، الجامي: نفحات الأنس ٢٦٩، ابن الجوزي: صفة الصفوة ٢ / ٢٤٨، ابن العماد: شذرات الذهب ٢ / ٢٢٥ البغدادي: هدية العارفين ١ / ٨٠٣، المناوي: الكواكب الدرية ١ / ٤٧٢، الشعراني: الطبقات الكبرى ١ / ١٠٤، الهجویری: كشف المحجوب ١٦٦

انظر هنا إلى المفهوم الشعبي للطاعة.. والمفهوم الصوفي يقرر فى أحد مناهجه للعلاقة بين الشيخ والمريد. أنه يجب على المريد أن يكون بين يدى الشيخ كالميت بين يدى الغاسل^(١).

ثم أعد النظر أيضاً حول خدمة الفقراء الموصلة إلى الخير فهل يعنى أن ما وصل إليه الحلاج، أو غيره فى الطريق نتيجة طبيعية لخدمته للفقراء فى الزاوية أولاً؟

ظلال يضيفها ويضيفها المفهوم الشعبى للتصوف. وبالفعل يصير الطفل حسين خادماً فى الزاوية ومطيعاً لشيخه. يكنس الخلاوات، ويملا الأباريق، ويدير النعال. الطاعة مع هوان الوظيفة عند الصوفية موصلة إلى الخير، فإن صبر على ما هو فيه، يُترك له فرصة التعلم والاستماع إلى الدروس.

ويشتعل الخيال الشعبى الخصب. ويقدم فى البداية عددًا من اللمسات الفنية للقصة، يعبر بها عن فهمه لحركة الشخصية وسير الأحداث وتقدمها. تتمثل هذه اللمسات فى:

أن تنزل ورقة بالولاية للشيخ الجنيّد من السماء. يضعها تحت السجادة لأمر يريده الله تعالى - هكذا يقول الراوى - ويقوم ليتوضأ حتى لا يمسها إلا على طهارة، لأن فيها اسم الله الأعظم.

وتكتمل هذه اللمسات حين يدخل الحسين ليكنس الزاوية وينفض السجادة - طيعة عمله فى الزاوية - فيجد الورقة فيبتلعها على حب التبرّك - روح الحياة الصوفية -

لا بد من الوقوف هنا عند كل نقطة. فما يقال الآن عماد القصة وأساس فهمها. وسير أحداثها متوقف على هذه البدايات. لأن الخيال الشعبى يضع أيضاً هنا مفهومه للتصوف، ولاهم أسسه وكيف يتم التجلى، وكيف يُفهم... إلخ. وربما اقترب المفهوم هنا فى أحد أوجهه من الصورة الحقيقية للتصوف. لكنها على أية حال صورة أنشئت خصيصاً لتناسب هذه القصة وهذه الشخصية. وربما أخذت صورة التصوف وجهًا آخر فى المفهوم الشعبى فى قصة أخرى عما هى عليه هنا.

(١) انظر: أبو بكر الرازى: (منارات السائرين ومقامات الطائرين) بتحقيقنا.

أقول:

ماذا حدث بعد دخول الجنيد الزاوية ولم يجد الورقة؟ إنه يفجر في القصة بُعداً هاماً، من أبعادها. وربما كان أهم أبعادها.

إن الجنيد يسأل: يافقراء من رأى منكم ورقة فليردّها ولما لم يرد أحد عليه جواباً يقول:

من رأى ورقة ولم يردّها قُطِعَتْ يده، ورجلاه، وحرق، وذر رماده في الهواء. إنها النبوة التي يفجرها الشيخ الجنيد. والتي تعمل عملها طوال القصة حتى النهاية.

تُرى هل قالها للتخويف؟ كما يرى الراوى في بداية القصة إنها بالقطع النبوة ويؤكد هذا ويعضده بقية القصة وكذلك ما قاله الحلاج نفسه في النهاية:

- لقد نفذت في نبوة الشيخ الجنيد.

أم يضع الراوى نقطة فنية تبعد الذهن قليلاً عن سير الأحداث تلك أمور لا بد من طرحها وإن كانت الإجابة ستأخر.

وأعود. ماذا صنعت الورقة بالحسين؟

إن الجنيد وهو الشيخ ينكر ما رآه من حال مريده. لكنه يسأله:

مالذي. أصابك؟ وما جرى لك؟

فيقول له:

«ياشيخى: نسمة من جنبه وقفتنى ببابه، وبشّرتنى بوصاله واقترابه، واستراح الفؤاد من هجره واحتجابه، وطاب لى ما سمعت فى الدُّجى من لذىذ خطابه»^(١).

(١) وردت في ديوان الحلاج شعراً من مجزوء الخفيف على النحو التالى:

أوقفتنى ببابه	نسمة من جنبه
أبدًا واقترابه	جسدتنى لوصله
هجره واحتجابه	واستراح الفؤاد من
فى الدُّجى من عتابه	طاب ما سمعته
سكرتى من شرباه	وعلى كل حاله

فهى هذه النسمة هى التى عبّر عنها الراوى بأن الحلاج صار لا أحد يفهم كلامه، ويشطح فى الكلام زائد وناقص - على حد قوله - مما دفع الشيخ الجنيد لإنكار الحال عليه وسؤاله ما الذى أصابك؟

إن هذا التعبير يكرره الراوى داخل النص إذا ما ضاق أهل بغداد بالحلاج. ويكاد يكون هو التعبير الوحيد الذى يشبه اللازمة مضافاً إليه: «ثم بكى بكاء شديداً وأخذ يقول»... إلخ.. من مثل هذه العبارات، والجمل المتكررة داخل النص.

إن لسان حال الحلاج يعبر عن هذا التغير الذى أصابه بعد أن ذكر لشيخه هذه النسمة التى أوقفته وبشرته... إلخ.

يقول:

ألا ياليل محبوبى تجلى ألا ياليل للغفران هلاً

ألا ياليل ما أبهى وأحلى ألا ياليل أكرمنى وجلّى

ولا طفنى إلى أن صرت كهلاً

ويرقبه شيخه الجنيد ويخشى عليه من كشف سرّه فيقول له:

- يا حين أنت وصلت إلى هذه المنزلة!

إنت كنت وصلت إليها فعليك بكتمان الأسرار.

فيرد عليه:

- يا شيخى مالى قوة على كتمان الأسرار

فيقول له:

- كيف ترى نور المحبة فى قلبك؟

= وقد وردت هذه الآيات ضمن ما أورده (الشيبي) فى الأشعار المنسوبة للحلاج، المقطوعة رقم

(١٠) وقد صنع لها عنواناً: (النسمة المكرة) ولم ينسبها لأحد معين، وقال: على لسان الحال

- أى عبر بها أحد عن الحلاج وهذا جائز طبعاً انظر الديوان ص ١٠٢، ١٠٣..

يرد الحلاج:

- أرى نورها فى قلبى، فلم أر إلا ربى، فأخذ عقلى منى، وقد سلبنى عنى،
ثم نظرت منه إليه، فلم أر فى الكون إلا هو.

ولا يخفى على القارئ أن التاريخ الصوفى للحلاج يكشف فى أحد جوانبه عن
أحد أسباب قتله فى أنه لم يقو على كتمان أسرارهِ. فأذاع مالم يُقبل منه، ولم
يفهمه الناس فعدوا ذلك منه زندقة وكفرًا. ولعل تجربة البوح هذه عبر عنها الشبلى
فى قوله:

«كنت والحلاج فى منزلة واحدة إلا أنه كشف وكتمت»^(١).

وهل يمكن أن نذكر هنا قول أبى هريرة: «حفظت من رسول الله ﷺ وعائين،
أما أحدهما فبشته، وأما الآخر فلو بشته لقطع منى الحلقوم»^(٢)، رواه البخارى.

وكذا قول على بن زين العابدين (رضى الله عنه):

يارب جوهر علم لو أبوح به لقليل لى: أنت ممن يعبد الوثنا

ولا ستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنًا

ويذهب أهل بغداد إلى الشيخ الجنيد يشكون له ما يفعله مريده.

يقولون له:

«اعلم أن مريدك حسين قد أتعبنا وهو يشطح ويتكلم بكلام لم يدخل فى العقل
ولا فى البال. وقد شغلنا عن بيعنا وشرانا وأوقف حالنا فنسألك أن تردده عنا».

فيقول لهم:

انصرفوا فإذا حضر فساؤدبه

(١) انظر: الحلاج: سامى مكارم..

الحلاج: محمد جلال شرف ص ١٠، الهجویری: كشف المحجوب ص ١٨٠ مع تغيير بسيط.
يقول: [أنا واحلاج شئ واحد، خلصنى جنونى وأهلكه عقله] ولو كان متهمًا فى دينه ما قال
الشبلى أنا والحلاج شئ واحد.

(٢) الحديث: رواه البخارى فى جامعه عن أبى هريرة (رضى الله عنه) ومعه أحاديث تعضده. انظر
التجريد الصريح لأحاديث البخارى باب العلم، وانظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٧ / ٢٦٢
(مادة وعى).

فلما حضر الحسين أعلمه شيخه بشكوى أهل بغداد منه ومن كثرة كلامه، وقال له:

- إرجع عما أنت فيه، ولا ترمى روحك في الهوان فيقطعون منك الأوصال ويعذبونك بأشد العذاب.

فيقول له الحلاج:

- التعذيب في رضى الحبيب.

ولعله يقصد ما أحلى التعذيب في رضى الحبيب.

وهنا لابد أن أتوقف عند كلام الجنيد وقوله: إرجع عما أنت فيه ولا ترمى روحك في الهوان.

هو في الفهم الصوفى: لا تكشف ما أنت فيه من أسرار فلا يفهمك الناس، فتهمون في نظرهم.

ذلك لأن قضية الحلاج الأساسية هي كشف الأسرار. ولذا قيل في أحد أسباب لقبه بالحلاج أنه لُقِّبَ به لحلجه أسرار الموحدين أى كشفها وتعريتها كما يفصل الحالج أو حلاج القطن الحُبَّ عن القطن. (وستأتى نقطة حلج القطن فيما بعد).

ولهذا يجب ألا يفهم رأى الجنيد على أنه تراجع دور باعتباره شيخه عما يرى مريده. والقصة تثبت فهم الشيخ وطاعة المريد، والقصة بخيالها تأخذ من أخص خصوصيات شخصية الحلاج الواقعية، والتي هي من أهم جوانبها التاريخية والصوفية معاً.

وتتزايد شطحات الحلاج. ويقل احتمال أهل بغداد لما يقول.

فيعيدون الشكوى إلى شيخه. فيقول لهم:

امسكوه حتى أحبسهم في مخزن القطن

فيتجمعوا ويحبسونه في مخزن القطن. فيقول لسان حاله:

يظنون أن الحُبَّ هزل بلا جـ

ومـا ذاك إلا وصف زائد الحـ

وما علت نار الهوى بمتميم

بذا الحب أن لا يعس يد ولا يبدى

وبات فى مخزن القطن ينشد الشعر، ويقرأ القرآن، ويذكر الله فإذا دخلوا عليه فى الصباح وجدوا القطن محلوجًا، مندوفًا.

الحبُّ فى ناحية والقطن فى ناحية.

ويسألونه: كيف حلجت كل هذا القطن؟ وهل صنعتك حلاج؟

فيرد عليهم:

أنا حسين الحلاج إيش تنكروا من حالى

أنا حلجت قطنى بالذكر والقرآن

أنا قضيت عمري فى خدمة الديان

وما عدته الجماعة الشعبية هنا من كرامة بخيالها. تغنى بها التاريخ الصوفى الذى يملأ الصفحات حول كرامات الحلاج. بالضبط كما هى نص الفكرة هنا أو قريب منها قليلاً، وكان الربط طبعياً بين لقبه وبين هذه الكرامة. وقد ناقشت من قبل لماذا لُقّب بالحلاج وتحدثت عن جانب كشف الأسرار. وهنا يبدو الأمر وكأنه طبعى تماماً. فهو صوفى كبير له كرامات، والعلاقة بين الكرامة والخيال الشعبى يربط بينهما خيط رفيع من فهم الأمر على أية حال.

ومن ظهور كل هذه الكرامات التى ذكرتها القصة هنا لا يزال أهل بغداد يصرون على الذهاب إلى الشيخ الجنيد. وفى هذه المرة يطلبون من الحلاج أن يذهب معهم إلى شيخه الجنيد وإلا قطعنا منك الأوصال... - على حد قولهم.

لكن الحلاج ينشدهم:

أيا ساداتى لولا أخفاف عليكم

زفرت فأحرقتم الخيام بعبرتى

ولما ذهبوا به إلى شيخه الجنيد وحكوا له ما حدث بعد حلج القطن عندما

أصبح الصباح . كأنما أراد شيخه أن يكافئه على ذلك . فمد يده وأعطاه منديله وقال له :

- خذ هذا المنديل .

فأخذه الحلاج منه ، وحذفه في الهواء فطار المنديل . ونظر إليه وهو يقول للمنديل : خذنى معك .

فطار معه ، على مرأى من الواقفين . يبهتهم العجب والاندھاش ويستمر الحلاج مدة سنة كاملة فى غياب - كما يقول الراوى - التقط أثناءها أهل بغداد أنفاسهم ويقول بعضهم :

- الحمد لله الذى راح عنا ، واسترحنا منه ، وأكلته وحوش البرارى ، وقبل أن يتموا أحاديثهم بفرح غيابه يأتيهم الخبر بدخول الحلاج من باب بغداد وهو يقول :
« لا إله إلا الله . ما يدوم إلا الله ، يا قوم اذكروا الله ، يا قوم وحدوا الله » .

فيراه الناس فيشتد عليهم الأمر . وطبعاً هنا يستعيض الخيال الشعبى فكرة الشطح والدخول فى متاهاتها بأن كلام الحلاج الذى يقوله لا يخرج عن التوحيد بأى حال وإن زاد فهو ذكر الله . . بدليل أن كل ما قاله الحلاج فى السوق وغيره حتى الآن فى السياق العام للقصة ما هو إلا توحيد وذكر .

ويقول الراوى : « والناس خلفه يكتبون حتى وصل إلى بيت الشيخ الجنيد . فيتكرر ذهاب أهل بغداد إلى الشيخ الجنيد وهم يقررون أمامه لأبد من حبسه حتى يروا مصالحهم .

وهم أيضاً يُقرُّون أمامه أنهم لا يستطيعون القبض عليه لأنه ساعةً يمشى ، وساعةً يطير فى الهواء .

فيرفع الشيخ عن كاهلهم هذا الأمر ويقول لهم :

- قولوا له شيخك الجنيد يقول لك أدخل فى هذا المكان . فإنه يدخل .

وتتبدى علاقة الشيخ بالمريد هنا فى أوج إكتمالها . مجرد خبر يأتيه ويقول له :
شيخك يقول لك أدخل هنا فإنه يدخل .

ولا بد أن يتعجب الإنسان. لأنه هنا سيدخل السجن!

وبالفعل يذهبون إلى الحلاج ويسمع منهم ما يريد الشيخ، فيدخل باب السجن دون تعقيب أو تعليق منه. بمجرد دخوله أغلقوا عليه الأبواب بإحكام فهل . انتهى الأمر؟ وهل استراحوا؟ وهل . . ؟



وماذا عن السجن؟

لما دخله وجد فيه من الخلق كثيرا، فلما رأهم قال:

«معاشر المحاييس ما حبسكم إلا ذنوبكم وغفلة قلوبكم وقدر شغلكم عن سيدكم ومحبوبكم فاسمعوا مني وإلا قعادكم هنا يطول...»
فقاموا والتفوا حوله يسمعون ما يقوله.

يقول الراوى- فصلى بهم العشاء ثم قاموا وخط خطا وعمل فيه صفات مركب، وجلس وسط المركب ثم دعاهم ليجلسوا معه فقاموا وجلسوا. فقال لهم: «يا فقراء حركوا مركبكم بذكر الله تعالى»، فذكروا معه ورفعوا أصواتهم بناءً على طلبه. وإذا بالخط يتشكل فى صورة مركب حقيقى وهم فى وسط البحر، فصرخ فيهم جدفوا بذكر الله. ووقف على سطح الماء ثم جرى والمركب خلفه حتى أوصله إلى البر، وأنزل المحاييس وهو يقول لهم: اذهبوا إلى حال سبيلكم.
وقد روى هذه الرواية «طه عبدالباقى سرور» فى كتاب^(١).

قارن بينها وبين رواية فريد الدين العطار^(٢) فى كتابه أيضا حين يقول: «أن الحلاج رسم على حائط السجن صورة مركب ثم أمر المسجونين بأن يركبوا فيها، وأن يذكروا اسم الله سبحانه، فلما فعلوا غابوا عن الحبس ونجوا جميعا».

نقلت هذه الرواية بنصها كما نقلها «سرور» عن فريد الدين العطار ليقارن القارئ بين الروایتين الأولى فى القصة والثانية فى ترجمة الحلاج فى كتاب «تذكرة الأولياء» والروایتان تثبتان الكرامة للحلاج بهذه الطريقة. وطبعا هناك كتب أخرى أخذت عن العطار هذه الرواية وأسندتها إليه.

تُرى هل وقع، الأصل الفرد، مؤلف هذا النص على كتاب تذكرة الأولياء، ونقلها منه نصا؟ أم أن شيوخ الأخبار والكرامات عن الحلاج سجلت مثل هذا

(١) أنظر: طه عبدالباقى سرور: (الحلاج شهيد التصوف الإسلامى) ص ١٧٩.

(٢) أنظر: فريد الدين العطار: (تذكرة الأولياء) الجزء الأول.

الكرامات وملأت خيال وضمير الجماعة الشعبية؟ ربما. وربما أيضا قرأ هذه الرواية في كتاب آخر.

وكلما توقف الإنسان حول ما يُروى عن الحلاج لابد أن يعلم مدى أهمية هذه الشخصية. وقد روى عنها التاريخ أحداثا طويلة خاصة عن فترة سجنه الأولى سنة ٣٠١ هـ والثانية التي كانت قبل مقتله، وكيف دعى إلى مذهبه داخل السجن فكثرت دعائه خارج السجن^(١).



تفجر داخل الأحداث نقطة مهمة تشمل الحركة نحو النهاية. يلتقطها الفنان الشعبي، هي ترتبط بشطح الحلاج الذي ضاق منه أهل بغداد فتصعد الحدث. يؤذن المؤذن للصلاة ويقول: الله أكبر، الله أكبر. فيقول الحلاج: كذبت. أو يقول: تكذب.

تقوم الدنيا، ولم تقعد إلا بموت الحلاج، ويصرخ فيهم قائلا: أنا ما كذبت في المقال، ولكن كذبت في الحال.

ويغمض عليهم الأمر فتعلوا شكواهم وتنتقل من شيخه الجليل إلى الخليفة وتتحول القضية لتأخذ شكلا آخر، ويضطر الحلاج إلى شرح ما يقصده من شطح وكلام ولكن هل سيصدقونه؟

يقول الحلاج: لو قال الله أكبر بصدق الإشارة^(٢)، ما حملته هذه المنارة ولتفتت من تحته الحجارة.

ومع الإقناع الذي يديه الحلاج في شرحه لما يقصد، إلا أن الأمور التي تحاك ضده في الخفاء أقوى من أى إقناع، ويزداد الإلحاح في الشكوى إلى الخليفة

(١) أنظر: التويرى: نهاية الأرب ٢٣/٢٨ وهي السنة التي خلع فيها المقتدر الخليفة على ابنه أبى العباس وقلده مصر والمغرب واستخلف له (مؤنس الخادم) وهذا العباس كان عمره أربع سنوات. وأنظر أيضا تاريخ الخميس للديار بكرى ٢/٢٤٩، وأنظر: سامى مكارم: الحلاج فيما وراء المعنى والخط واللون.

(٢) وأنى لهم بفهم الإشارة الباطنة الكاتبة وراء هذا المعنى!

ويتصور الناس حوله، هروبه. ثم يدخل المدرسة فيغلقون بابها عليه، ويقعون بالفعل أمام كرامة أخرى من كراماته العديدة، عندما يذهبون إليه فيكبر أمامهم وهم ينظرون إليه وإلى جسده الذى ملأ المكان فلم يجروا أحد منهم على الاقتراب منه. فلم يسعه مكان.

وهذه الكرامة التى يرويها الخيال الشعبى يقول عنها: ابن عربى فى «الفتوحات المكية» «ورويانا عن الحلاج أنه ذاق من هذا المقام -مقام العظمة كان يتحدث عنه ابن عربى- حتى ظهر عليه منه حال المقام فكان له بيت يسمى بيت العظمة إذا دخل فيه ملأه كله بذاته فى عين الناظر، حتى نُسبَ إلى علم السيميا فى ذلك لجهلهم بما هم عليه أهل الله من الأحوال»^(١).

تبارى كثير من المصادر ذكر عدد كبير من كرامات الحلاج بعضها صنعه الخيال والمبالغة فى محبته، والبعض الآخر أثهم فيه أنه من عمل السحر والشعوذة وقليل جدا من هذه الكرامات التى يصدقها الناس، وهى التى تؤخذ من مصادر موثوق بها عندهم.

يتطور الأمر ويعودون بعد ثلاثة أيام ليقبضوا عليه، ويدخلوه إلى الخليفة، فيقول له الخليفة: كل شيء سامحك فيه، إلا تكذيب المؤذن، فإن كنت سكران أفق.

فيرد الحلاج على الخليفة:

ذكر المحبة يا مولاي أسكرنى

فهل رأيت محبا غير سكران؟

وذا قليل على مثلى لجرمته

فما عصى الله عبد مثل عصيانى

(١) أنظر: محبى الدين بن عربى: الفتوحات المكية (الباب الثالث والتون بعد الأربعمئة) وهو باب فى معرفة الاثنى عشر قطبا الذين يدور عليهم عالم زمانهم، ٨٤/٤، وأنظر الباب (الثالث والثمانون وثلاثمئة) فى معرفة منزل العظمة الجامعة للعظمت المحمدية ٥١٩/٣ من طبعة دار صادر بيروت.

نادوا علىّ جميعاً فى مجالسكم:

هذا المسيء، وهذا المذنب الجبانى

فهل يعتبر ما قاله لسان حال الحلاج أمام الخليفة تحدياً لهيئة الخليفة؟ وهل هذا مخالفة؟ وهل؟

يقول الراوى: فلما فرغ حسين من شعره قال له الخليفة: يا حسين إن أهل بغداد وعلماءها يريدون مناظرتك، ومجادلتك.

فقال له: حبا وكرامة أحضرهم بين يديك.

فقام الخليفة، وأرسلهم وأكرمهم غاية الإكرام، وقال لهم:

هذا حسين، قد أحضرناه بين أيديكم فما تقولون فيه؟

فقال الفقهاء: يا حسين أنت تُكذب المؤذن فما يكون عندك من الرد فى هذا الكلام. فإنه لا يكذب المؤذن إلا من كفر، وحل حرقه.

فقال لهم: احفروا لى حفرة واملاوها بالفحم والنار.

ففعّلوا ما أراد. فقال: احضروا أمير المؤمنين. ثم طلب منه هاون نحاس.

يقول الرواى: فأمر الخليفة بإحضار هاون نحاس وكان وزنه أربعين رطلا بغداديا.

قام حسين وألقاه وسط النار وصبر عليه حتى بقى جمرة نار وجلس على الهاون وقال لهم: يا علماؤنا، ويا فقهاؤنا، ويا عامة، ويا سوقة، ويا أهل بغداد، كل من كان منكم يريد مناظرتى ومجادلتى فليجىء ويجلس معى فى هذه النار على هذا الهاون النحاس.

فلما سمعوا ولّوا الأدبار وركن الكل إلى الفرار.

ولابد للراوى هنا أن يدخل فى روايته على العامة الوعظ والإرشاد وهى قضية مطروحة عامة فى الأدب الشعبى، إذ كيف يتقبل العامة منه هذه القصة دون تقديم الوعظ المباشر.

يقول الراوى: فقال لهم حسين: يا ويلكم تهربون من نار الدنيا ولا تهربوا من نار الآخرة؟ فمن أراد أن ينجو من نار الآخرة فلا يأكل الحرام، ولا يظلم الأيتام، ولا يترك الصلاة والصيام.

يقول الراوى: ثم إنه صار يحدثهم ويوعظهم وهو واقف على الهاون فى النار فلما زاد به الغرام والعشق والهيام حط أصابعه فى أذنيه وقال: الله أكبر، الله أكبر، فانطفأت النار وتفرقع الهاون، وصار ستين قطعة.

ثم قال للخليفة: يا أمير المؤمنين لو قال المؤذن الله أكبر بصدق الإشارة لما حملته هذه المنارة، وكانت تفتت من تحت أقدامه الحجارة، أنا ما كذبتة فى المقال وإنما كذبتة فى الحال.

فهل تؤتى هذه الكرامات -التي قدمها الحلاج صدقا لطريقه، وحقا لفهمه، ثمارها-؟ وهل ستشفع له الكرامة الأخيرة التي قدمها أمام الخليفة له عنده؟ وهل؟ وهل؟

لكن لمن تحاك المؤامرات والضغائن، ومن يُحيكها إلا ضعاف النفوس وشرار البشر و..... و.....

يقول الراوى:

فقام حسين وذهب إلى شيخه وبات عنده، وإذا برجل يدخل على الخليفة اسمه «خالد»، ولعله هو «حامد بن العباس»^(١) الذى تولى كبر هذه القضية ومتزعمها الأواحد فى قتل الحلاج «انظر ما سيقال عنه فى المحاكمة».

وناول الخليفة ثمانين فتوى كلها تقطع عليه بالكفر والإلحاد والزندقة.

يقول الراوى: وتلك الفتاوى من أربعة وثمانين عالما من علماء بغداد، وعلماء الشام، وعلماء مصر، إن فى قتل الحلاج إصلاح المسلمين.

صورة الإدانة لهذا العصر بما حدث فيه يقدمها الضمير الشعبى دامغة ومعبرة عن فهمه الثاقب للأمور السياسية التى كثيرا ما يتهم بأنه بعيد عنها.

(١) (حامد بن العباس) هو وزير الخليفة المقتدر بالله، وهو من تولى إثم قتل الحلاج بعد أن جدَّ فى طلب ذلك من الخليفة المقتدر. وسيرد اسمه كثيرا وله ترجمة فى هذا الكتاب.

وبعيد الخليفة النظر مع شيخه الجنيـد، ويطلب منه الحلاج للقصاص لأن في ذلك صلاح للمسلمين.

فيقول الشيخ الجنيـد للحلاج لاثما: أنا أقول لك أكرم سرك وإلا ما تسلم.

فلما سمع الحلاج من شيخه هذا الكلام علم أنه مقتول لا محالة فطلب قلما وقرطاسا - كما يقول الراوي - وكتب: «لكم مهجتي طوعا، لكم مهجتي رضى، لكم جسدى منى لكم حلوا».

وألقى الورقة فى الهواء فغابت ساعة وجاءت مكتوب فى ظهرها: «إن كنت متا وتريد قرب وصلنا أظعنا، قتل النفوس فى شرعنا حلوا».

أى حلوا قتل النفوس فى شرعنا مادام من أجلنا، ولا بد أن يفهم النص على هذا المعنى أو قريب منه مادام المقام مقام الكبار من المتصوفة.

فلما كانت الإجابة هكذا فإن الحلاج لا يتأخر فينشد الشعر قائلا:

أقتلوني يا ثقاتى إن فى قتلى حياتى

وحياتى فى مماتى ومماتى فى حياتى

فما أتم كلامه حتى أخذوه إلى المصلب، وقطعوا يديه، ورجليه والخليفة واقف ينظر والحلاج يستكمل شعره:

اقتلوني واحرقونى فى عظامى الباليات

تجدوا سرَّ حبيبى فى طوى الباقيات

فأنا أستغفر الله من عظيم السيئات

اقتلوني يا ثقاتى إن فى قتلى حياتى

وتستكمل الفتنة أبعادها بعد دخول اثنين من كبار القضاة ليعلنوا أمام الخليفة أنهما شاهدا الحلاج فى السوق وهو يقول: ما فى الجبة غير الله.

تُرى هل يضير الشاة بعد ذبحها أن يتحدثوا عنها عند الخليفة، أم أن الحدس الشعبى يريد كشف الذين يتقربون حتى بعد كل ما حدث.

هذه القراءة التى قدمتها لنص (الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد) بمثابة قراءة تذوقية أدبية لا تعفى إطلاقاً من الوقوع فى أسر فهمى للقص والنص أيضاً، ولعلها تكشف جوانب صياغة الحكمة الفنية التى أرادها الفنان الشعبى امتثالاً للنبوءة التى قُدمت بدايةً.

لا أقول إننى قدمت كل شيء عن النص، ففيه الكثير والكثير لم يقدم بعد، ولم أكشف عنه، وإنما أردت فقط أن أقدم له قراءة سريعة أكشف فيها عن جانب الحدس للجماعة الشعبية، وإعجابى بها ترى هل أصبت؟
هذا ما أرجوه، وإن لم، فللقارئ الكريم الحق فى طرح رؤيته مرة ومرات..

وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا ذِخْرًا لِي فِي
مِيزَانِ الْحَسَنَاتِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ
وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ
سَلَّمَ اللَّهُ قُلُوبَنَا لَهُ
آمِينَ

المحقق

سعيد عبدالفتاح

الحلاج تاريخ ومعالم

* هو الحسين بن منصور الحلاج، اتفقت جميع المصادر على أنه ولد سنة ٢٤٤هـ وقتل ببغداد سنة ٣٠٩هـ عن خمسة وستين عاما.

* انتقل مع أسرته، وهو مازال حدثا إلى «واسط» ومن هناك انتقل إلى «تُستَر» حيث صَحِبَ سهل بن عبدالله التُستَرى أحد كبار الصوفية في عصره لمدة عامين.

■ ثم صحب الحلاج «عمرو بن عثمان المكي» الذي ألبسه خرقة الصوفية، لكن يحدث خلاف بينهما فيستنصح الشيخ أبا القاسم الجنيد بعد أن سافر له إلى بغداد فيشير إليه بالصبر والمداواة.

اللقاب:

تعددت ألقاب الحلاج ، ويبدو أنه كان يلقب في كل مكان بلقب يروق لأهل هذا المكان أن ينادوه به ففى:

١ - الهند كان أهلها يلقبونه بالمغيث.

٢ - وأهل ماضين وتركستان يلقبونه بالقيت.

٣ - بينما أهل خراسان لقبوه بالميز.

٤ - وأهل فارس لقبوه بأبى عبدالله الزاهد.

٥ - وأهل خوزستان لقبوه بالشيخ حلاج الأسرار.

٦ - وفى بغداد لقب بالمضطلم.

٧ - وفى البصرة لقبوه بالمجيب.

وتدل كثرة الأسماء - كما هو معلوم - على شرف المسمى كما تدل على المكانة التى يحتلها فى قلوبهم ويتمتع بها عند مريديه ومحبيه وصفوته.

نُسِبَت للحلاج فرقة أطلق عليها الدارسون والمؤرخون اسم «الحلاجية» وقد ذكر

البغدادى فى كتابه^(١) شيئا يسيرا عنها وعنه . ولكنه اهتم باختلاف الناس حوله من المتكلمين والفقهاء والصوفية ولم يقنّد مذهب هذه المدرسة أو هذه الفرقة، غير أنه علق على ما يقوله البعض حول فكرة الحلول التى امتلأت بها بطون الكتب، وهى فكرة لم يشرح أحد منهم المعنى وراء هذه الأفكار لكنهم توقفوا جميعا عند الظاهر منها.

فى هذه اللحظة لابد أن أشير سريعا إلى كتاب «مفتاح الكنوز وحل الرموز» لقاضى القضاة «العز بن عبدالسلام» الذى شرح فيه أحوال الصوفية ومتقلبهم فى طرح الألفاظ يقول: فأما أهل التمكين فإنهم علموا وكنتموا ما علموا لما يعلمون من ضعف احتمال عقول أطفال العقول، فلهذا إن الحلاج لما علم شيئا من هذا العلم وتفوّره به أبيح دمه، وكان خطؤه من حيث إظهاره ما يكتم، وإعلانه بما ير .

وسأعود مرة أخرى لشرح بعض الألفاظ على لسان الشيخ الفاضل العز بن عبدالسلام.

وفى تسميته بالحلاج أقوال كثيرة بعضها مبالغ فيه - فيما أعتقد - والبعض الآخر يحتاج إلى تدقيق فى البحث، ومع هذا فلأننى سأورد بعض هذه الأقوال معلقا عليها:

أولا: كونه سمي بحلاج الأسرار لكشفه عن أسرار الموحدين ثم غلب عليه هذا الاسم.

كل المصادر -تقريبا- لا تختلف حول هذا السبب، وإنما يوردونه من باب الاحتمال.

وسأقف هنا لأن هذا الاسم أو هذا اللقب الذى يكاد يحل محل الاسم من هذه

(١) البغدادى: «لفرق بين الفرق ص ٢٧٩

وحول هذه الفرقة التى أسموها بالحلاجية يقول الهجویری فى كتاب (كشف المحجوب): [وقد رأيت فى بغداد وحواليها كثيرا من أهل الزندقة يدعون الانتساب للحلاج، ويجعلون أقواله دليلاً على زندقته، ويُسَمُّون أنفسهم (الحلاجية) وهم يتكلمون عنه بنفس الغلو الذى تكلم به الرافضة عن الإمام على (كرم الله وجهه)] ثم قال الهجویری: [وفى النهاية إنه لا يلزمك أن تجعل كلام الحلاج دليلاً على مكانته، حيث إنه كان مغلوباً عليه] أى بسكره أنظر كشف المحجوب ١٨١، ٣١١.

الناحية بالذات -ناحية كشف الأسرار- لم يصل وحده لهذه الدرجة، درجة التغلب على الاسم وإنما فى يقينى أنه أتى من أن الحسين بن منصور الحلاج وهو لقب والده الذى كان يعمل فى حلج القطن كما ذكر المستشرق الفرنسى «ماسينيون» صاحب أكبر دراسات عن الحلاج، ومُقَدِّمُهُ إلى أهله -للأسف- أى أول من كشف لنا عن عظمة هذه الشخصية فى تراثنا. ذلك أننا قوم لم نعرف، أو لم نتعود على المخالفة أو الخلاف فى رأى.

وقد ساق «طه عبدالباقي سرور» فى كتابه الحلاج: شهيد التصوف الإسلامى ص ٣٢ هذا الرأى: «ويقول المستشرق ماسينيون: إن البقعة التى ولد فيها الحلاج كانت من أعظم مناطق النسيج فى الإمبراطورية الإسلامية، وإن والده كان من عمال النسيج وهو استنتاج فكرى من ماسينيون لم يقم عليه من التاريخ شاهد أو دليل».

ومع وجاهة هذا المنطق وجاذبيته فإنه يتقصه الدقة فى تحديد الألفاظ ودلالاتها فضلا عن أننى أميل لرأى ماسينيون للأسباب الآتية:

١ - أن مهنة الوالد «منصور» لصقت باسمه فكان يسمى «منصور الحلاج» وقد لا يحتاج هذا إلى أن تكون البقعة من أعظم مناطق النسيج ولا غيره، ولكن لأن عهدنا بالتراث العربى غلبت مهن كثيرة على أصحابها دون أن تكون لهذه المهن شأن يذكر مثل: ابن داية، وابن النجار، وابن الملقن، واللبان، وغير ذلك من المهن الملية بها كتب التراث العربى والمليقة بأصحابها لدرجة -كما قلت- إنها تحمل محل الاسم فى كثير من الأحيان، أو تغلب عليه.

٢ - أن الحسين بن منصور الحلاج لما صادف اسمه أو لقب والده -غلب المهنة عليه- ضاهى الناس بين لفظ «الحلاج» فى الحقيقة لأبيه، وبين تجربته فى الكشف، واقترب المعنيان من بعضهما البعض لما يؤديان من الفصل فى كثير من الرؤى والأمور الكشفية والتجليات. وكذلك الفصل بين الحب والقطن المندوف صنع ذلك نوعا من التطابق أو التداخل فى المفاهيم أو الترادف المطلوب فى كثير من الأحيان.

٣ - هل لأن الذى قال بغلبة المهنة مستشرق وجب أن نخالفه فى الرأى دون إقامة الدليل القوى على عكس ما قال؟

لهذا أستطيع اختصار ما قُلْتُه مرة ثانية وهو: والد الحسين هو منصور الحلاج وهى مهنته، صادف ذلك أن أطلق على الحسين لفظ الحلاج وهو مهنة أبيه، أنه يكشف بعض الأسرار فغلب الاسم على الولد دون الوالد.

ثانيا: أنه -أى الحسين- سأل أحد الحلاجيين للقطن أن يعينه فى عمل شىء له، فأشار إليه الرجل بانشغاله بحلج القطن، فقال له الحسين راجيا أن ينهى له ما يريد فاستجاب الرجل وغاب بعض الوقت عن الحلج فعاد فوجد القطن كله محنوجا.. فتعجب الرجل من ذلك، فغلب عليه لفظ الحلاج. وقد أوردت كثير من المصادر نص هذا رأى وعدته من كراماته. وإذا كنت سأعد هذا الرأى من الكرامات فما أقمت أى دليل وإنما يرد هذا الرأى عند كل المصادر أيضا من باب الاحتمال، وهو الرأى الذى وصفته بأنه مبالغ فيه.

ثالثا: أما الرأى الثالث والأخير فهو الذى ينسب التسمية التى تعود لعمل أبيه فى حلج القطن، وقد ناقشتها ضمن الرأى الأول لتداخل بينهما.

حج الحلاج ثلاث مرات

الأولى: كان يجلس فيها فى حرم البيت ليل نهار، لا ييارحه إلا للطهارة أوللطواف بقى سنة كاملة على هذا الحال حتى عاد إلى الاهواز.

الثانية: كان برفقته أربعمائة من أتباعه.

الثالثة: وكانت سنة ٢٩٠ هـ وقد بدأ نجمه فى اللّمعان، وهى آخر مرة لأنه عاد بعدها فأقام كعبة فى صحن بيته مما دفع بالمهاجمين له إلى حومة الوغى، فتكرر هروبه بعد ذلك، وقررت السلطات سجنه بعد القبض عليه فى عام ٣٠١ هـ لولا رأى القاضى ابن سريج.

طرح عدد من المفكرين والدارسين لشخصية الحلاج آراء مهمة حول تجربته الصوفية وعلاقتها بالأفكار السياسية فى عصرها، وكان التساؤل المطروح: هل كان الحلاج داعيا من دعاة الفاطميين؟ وهل مهاجمة الصوفية له بناء على هذه الدعوة؟

ناقش هذه الأفكار بذكاء كتاب «الحلاج: فى ما وراء المعنى والخط واللون» تأليف سامى مكارم.

وقد قرر في هذه المناقشة أن الأدلة التي تثبت غير كافية وكذلك الأدلة التي تنفي غير كافية انظر ص ٢١، ٢٢.

ذكرت بعض المصادر مثل «وفيات الأعيان»^(١) أن الحلاج كان يبرز الأفكار «الوجه» الشيعي أمام السلطة ويبرز الجانب الصوفي أمام العامة وهي فكرة تحتاج إلى دراسة خاصة لكل أفكار الحلاج وأظنها ستكون دراسة ناقصة، وأسباب ذلك حرق كل كتب الحلاج، والتي لم يتبق منها سوى كتاب الطواسين، وديوانه. أما بعض الآثار المنقولة التي قام بتجميعها ماسينيون أو غيره إنما هي أخبار حوله لا تقوى بأى حال على إقامة الدليل الفكري الأساسى لأرائه وأفكاره لأنها ببساطة آراء عنه وليست له، ومعظمها مبالغ فيه إلى حد كبير.

عد السُّلَمي في كتابه الهام: «طبقات الصوفية»^(٢) الحلاج من الطبقة الثالثة، وجاءت ترجمته تحت رقم ١٣ في هذه الطبقة. وقد قسم السُّلَمي الكتاب إلى خمس طبقات في كل طبقة عشرون شيخاً من أكابر الصوفية كانوا في زمان واحد قريب بعضهم إلى بعض في الترتيب التاريخي. توفي أبو القاسم الجنيد سنة ٢٩٨ هـ وهو ينفي ما ذكرته بعض المصادر أن الجنيد شهد مقتل الحلاج الذي قتل سنة ٣٠٩ هـ كما أسلفت وكذلك أشير إلى ما ذكرته هذه القصة وأن اعتمادها على هذا الموقف من أن الجنيد قذف الحلاج بوردة في يده بينما الكل كان يرميه رجماً بالحجارة فلم تؤثر سوى وردة الشيخ الجنيد فيه، وأذكر للمقارئ الفطن أن القصة أقامت هذا الموقف على الخيال وحده وليس له أية علاقة بموقف مشابه في الحقيقة.

روى «أحمد بن مردويه» أنه رأى الحلاج يصبح بسوق القطيعة ببغداد باكياً، وهو يقول: «أيها الناس أغثوني عن الله» فإنه اختطفني مني، وليس يردني على،

(١) أنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان الجزء الأول الترجمة رقم (١٨١).

(٢) أنظر: السُّلَمي: طبقات الصوفية ص ٧-٣٠.

(٣) أنظر: ترجمة الإمام الجنيد في هذا الكتاب وانظر مصادر ترجمته.

ولا أطيع مراعاة تلك الحضرة، وأخاف الهجران فأكون غائبا محروما، والويل لمن يغيب بعد الحضور ويهجر بعد الوصل فبكى الناس لبكائه^(١).

«بداية قصة الحلاج داخل هذا الكتاب».

يقول ابن عربي عن الحلاج^(٢) (الظاهرين بأمر الله عن أمر الله).

فاعلم أن الظاهرين بأمر الله لا يرون سوى الله في الأكوان وأن الأكوان عندهم هي مظاهر الحق، فهم أهل علانية وجهر، وكل طبقة فعاشقة بمقامها تذبُّ عنه، ولهذا لا تعرف منزلة مقامها من المقامات حتى تفارقه، فإذا نظرت إليه نظر الأجنبي المفارق حيث تدّعي معرفته فقبل أن تحصل فيه يكون معلوما لها من حيث الجملة، وترى علو منصبه فإذا دخلت فيه كان ذوقا لها وشربا، فيحجبها كونها فيه عن التمييز، فإذا ارتقت عنه نظرت إليه بعد ذوق، فكانت عارفة بقدره بين المقامات ومرتبته. فيقبل كلام هذا الشخص فيه لأنه تكلم عن ذوق وكان شهوده إياه عن صحو، فتقبل شهادته لذلك المقام وعليه. كما قبلنا شهادة الشبلي وقوله في الحلاج، ولم نقبل قول الحلاج في نفسه ولا في الشبلي لأن الحلاج سكران، والشبلي صاح.

وأورد العز بن عبد السلام^(٣) قال: وقد روى أنه لما أتى به -أي الحلاج- ليصلب فرأى الخشب والمسامير فضحك ضحكا كثيرا ثم نظر في الجماعة، فرأى الشبلي فقال: يا أبا بكر أملك سجادة؟ قال: بلى. قال: فافرشها لي. ففرشها. فتقدم وصلى. فقرأ في الأولى الفاتحة وبعدها ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ثم ذكر أشياء فكان ما حفظ عنه: (اللهم بحق قيامك بحق، وبحق قيامي بحقك وقيامي بحقك يخالف قيامك بحق، لأن قيامي بحقك ناسوتية، وقيامك بحق لا هوتية. مع أن ناسوتيتي مستهلكة في لا هوتيتك، غير ممازجة إياها، ولا هوتيتك مستولية على ناسوتيتي غير مماثلة لها، أسألك أن توفقني لشكر هذه النعمة التي أنعمت

(١) أنظر: أخبار الحلاج بتحقيقنا. المكتبة الأزهرية للتراث، وأنظر أخبار الحلاج بتحقيق ما سينون أرقام الفقرات متقارب. وأنظر سامي مكارم: الحلاج فيما وراء اللون والمعنى والخط.

(٢) ابن عربي: الفتوحات المكية: ج ١١ فقرة (٣١٠) من طبعة الهيئة العامة للكتاب.

(٣) أنظر: العز بن عبد السلام: (حل الرموز ومفتاح الكنوز) أو خلاصة زبد التصوف كما يطلقون عليه ص ٧٥.

بها على، حيث كشفت لى عن مطالع وجهك وحرمت على غيرى ما أبحت لى من النظر فى مكتونات سرّك، وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلى تعصبا لدينك وتقربا إليك، فاغفر لهم فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لى ما فعلوا. ولو سترت عنى ما سترت عنهم لما ابتليت بما ابتليت.. فلك الحمد فيما تفعل، ولك الحمد فيما تريد). ثم تقدم أبوالخارث السيّاف ولطمه لكمة هشّم وجهه وأنفه، فصاح الشبلى ومزّق جبته، وغشى عليه.

وهذه الرواية توردها مصادر كثيرة توضح بها مدى صدق الحلاج فى دعواه حتى اللحظة الأخيرة قبل القتل يطلب السجادة ليصلى ويدعو لقاتليه وسأحدث فيما بعد عن هذه المحاكمة الظالمة التى أدت إلى قتله وحرقه وذر رماده فى دجلة والفرات.

محاكمة الحلاج

بعد فتوى القاضي الشافعي العادل «ابن سُرَيْج»^(١) بأن أمر الحلاج لا يصل به، بأى حال، إلى إعدامه قاتلاً:

«إن آراء الحلاج فى العقيدة ليست من اختصاص المحاكم الشرعية».

وقد ضرب هذا القاضى مضرب الأمثال بفتواه فى الحكمة والدقة والنزاهة فى الرأى. ومع هذا فإن المؤامرات ظلت تحاك ضد الحلاج منذ قيل هذا الرأى سنة ٣٠١ هـ. من خصومه مدعى الطريق الصوفى، والفقهاء، وبعض السياسيين حتى تولى كبر هذا الأمر الوزير «حامد بن العباس»^(٢) الذى خاف على منصبه وما يحققه من ورائه من أطماع، فاتهم الحلاج بأنه يثير القلق ويقلب الناس ضد السلطة بآرائه وأفكاره ودفعه هذا الأمر بأن يطلب من الخليفة إعدام الحلاج لأن فى إعدامه إصلاح لحال المسلمين^(٣).

ثم إن حامد بن العباس أحضر القاضى «أبا عمر الحمادى»، والقاضى أبا جعفر ابن البهلول، وجماعة من الفقهاء والشهود واستفتاهم فى قتل الحلاج فانقسموا إلى موافق ومعارض.

(١) ابن سُرَيْج: هو أحمد بن عمر بن سُرَيْج، البغدادى، الشافعى (أبو العباس) القاضى، القدوة صاحب المؤلفات الكثيرة، فقيه العراقيين ولد سنة ٢٤٩ هـ وتوفى ببغداد سنة ٣٠٦ هـ، ما رضى بقتل الحلاج وكان يقول: (أنا لا أعرف ما يقول) وكان إذا تكلم فى الأصول والفروع تعجب من كلامه أهل المجلس فيسألونه فيقول: من بركة مجالة أبى القاسم الجندى، رحمه الله. انظر ترجمته فى: الذهبى: تذكرة الحفاظ ٣/ ٨١١ ترجمة رقم ٧٩٨، الخطيب: تاريخ بغداد ٤/ ٢٨٧، السبكي: طبقات الشافعية ٢/ ٨٧. السلمى: طبقات الصوفية ٣٦٠، كحالة: معجم المؤلفين ٢/ ٣١، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ١٢٩، ابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٢٤٧، الجامى: نفحات الأنس ٥١٩.

(٢) تقدمت ترجمته.

(٣) انظر: سامى مكارم كتاب: (الحلاج فيما وراء اللون والخط والمعنى) ص ٤٨.

وكانت حجة المعارضين: أن لا يجوز قبول أى قولٍ إلا بيّنة أو بإقرار من المتهم.

وأوضح «ابن البهلول» لحامد اعتراضه على إعدام الحلاج: «إلا أن يُقرَّ بأنه يعتقد هذا، لأن الناس قد يروون الكفر ولا يعتقدونه فإن أخبر أن هذا شيء رواه وهو يكذب فيه، فلا شيء عليه وإن أخبر أنه يعتقد استتب منه، فإن تاب فلا شيء عليه وإن لم يتب وجب عليه القتل».

أمّا «أبو عمر الحمادى» فأفتى بقتله لأن الزنديق لا يُستاب» لأن المالكية لا (لايجيزون) توبة الزنديق.

غير أن هذا الخلاف فى رأى لم يفت فى عضد الوزير «حامد بن العباس» ودبر له، وأحاله إلى المحاكمة.

هيئة المحكمة

ألقت هيئة المحكمة من القاضى المالكى أبى عمر الحمادى رئيساً وتم إقصاء القاضى الحنفى «أبو جعفر بن البهلول» الذى اعترض من قبل على إعدام الحلاج وعيّن مكانه قاض حنفى آخر هو «أبو الحسين عمر بن الأشنانى» الذى كان قد قدم من الشام ليخلف ابن البهلول فى منصبه. وحضر المحكمة رئيس الشهود القاضى «عبد الله بن مكرم» ولم يسمح الوزير حامد بن العباس بوجود قاضى شافعى خشية ألا يفعل مثلما فعل القاضى الشافعى ابن سريج قبلاً.

أما الحنابلة فإنهم أقصوا تماماً عن حضور المحاكمة نظراً لعدائهم السافر للدولة وتعاطفهم مع الحلاج بعد موت ابن عطاء الذى عذبه الوزير حامد بن العباس لوقوفه بجانب الحلاج.

وكانت تهمة الحلاج التى غنى بها الوزير «حامد بن العباس» فكرة الحج والكعبة التى أقامها الحلاج فى بيته كما ورد فى أدلة الاتهام وهى كالتالى:

«قيل أنه فى أحد مؤلفات الحلاج: إن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه ذلك، له أن يفرد فى داره مكاناً مطهراً ينصب فيه ما يشبه الكعبة فيطوف حوله كما لو كان

فى مكة . ثم يجمع ثلاثين يتيما ويكرمهم بالطعام ويخدمهم بنفسه ويغسل أيديهم . ويكسو كلاً منهم قميصا ويدفع إليه سبعة دراهم» ولما سأل القاضى أبو عمر الحمادى الحلاج عن مصدر ذلك أجابه الحلاج أنه قرأه فى كتاب «الإخلاص» للحسن البصرى، فأنكر أبو عمر وجود ذلك فى الكتاب^(١).

يقول «سامى مكارم»^(٢):

واعترض الحلاج على الحكم واضعا القضية أمام تبعتهم وهو يصرخ فيهم: «ظهرى حمى، ودمي حرام، ولا يحل لكم أن تتأولوا على بما يبيحه الدين واعتقادي الإسلام ومذهبي السنة وتفضيل أبى بكر وعمر وعثمان وعلى.. ولى كتب فى السنة موجودة عند الوراقين فالله الله فى دمي»..

وفوجيء كثيرون بالحكم بإعدامه وتم فعلا الإعدام فى الثالث والعشرين من ذى القعدة سنة ٣٠٩ هـ وكانت الشرطة قد اتخذت حيطتها كاملة خشية أن يُتزع الحلاج من بين يدي أصحاب الحكم . وخشية أن يقوم الناس بشورة وتروى فى مقتله حكايات بعضها مبالغ فيه وبعضها يمكن قبول شأن هذه الحكايات شأن صاحبها الذى يكاد يصل إلى معنى الشخصية الاسطورية التى ربما بخيلها الإنسان ولا يثق تمام الثقة أنها يمكن أن توجد فى الواقع بهذه الطريقة .

حقا تستحق شخصية الحلاج دراسات ودراسات من الباحثين ولعلنى أكون قد قدّمت إلى المكتبة العربية عملا يضيف إليها الكثير، ويحقق للمقارىء والباحث عن الحقيقة بعضا مما تصبو إليه نفسه ونظرة واحدة على مؤلفاته تعين على فهم «كم كان خطره على من قتلوه؟

المحقق

(١) انظر مناقشات ذلك فى التويرى: نهاية الارب ٢٣ / ٦٠، سامى مكارم: الحلاج فى ما وراء المعنى والخط واللون ٥٠، طه عبد الباقي سرور: الحلاج شهيد التصوف الإسلامى ١٢٠ .

(٢) المصدر السابق إشارته نفس الصفحة .

مؤلفات الحلاج

من المعلوم أن كل مؤلفات الحلاج التي قد تصل إلى خمسين مؤلفاً قد تم حرقها عدا «الطواسين» و«الديوان» ومع هذا تصر كثير من المصادر علي ذكر عدد مؤلفاته وتتراوح نسبة ذكرها ما بين ٤٢ مؤلفاً إلى خمسين مؤلفاً.

وذكر الدكتور علي الخطيب^(١) في رسالته:

«ومما يؤسف ويؤسى له أن الزمن قد اغتال كل هذه الكنوز الثمينة التي لو بقيت لأفادت العالم الإسلامي علماؤه وأدباؤه... وما أودع فيها من معلومات وخواطر لها قدرها لصدورها عن مثل الحلاج».

أما عن الطواسين فأول ما حققه هو المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون وقد نشر بباريس بخط جميل جداً سنة ١٩١٣.

والديوان قام بجمعه وتحقيقه الدكتور كامل مصطفى الشيبى أستاذ الفلسفة بجامعة بغداد ووضع عنوانات له وهو مرتب حسب القوافي فيبدأ بقافية الهمزة والألف ثم الباء... إلخ ثم يختم الديوان بأشعار نسبت إلى الحلاج، وجعل لها باباً خاصاً أسماه: أشعار نسبت إلى الحلاج^(٢).

أما عن مؤلفات الحلاج الأخرى فقد وردت في عدد كثير من المصادر سأذكر منها:

١- بستان المعرفة.

٢- تفسير سورة الإخلاص

(١) دكتور علي الخطيب: كتاب (انجماوات الأدب الصوفى بين الحلاج وابن عربى) رسالة دكتوراه وطبعت بدار المعارف بمصر انظر ص ٢٠٩.

(٢) انظر نسخة الديوان المجموعة بخط يد جميل مشكول (الطبعة الثانية بخط الخطاط الحاج يحيى سلوم العباسى) وطبع بالآلوفست على مطابع دار آفاق عربية بغداد ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

- ٣- كتاب الأبد.
- ٤- كتاب الأحرف المحدثه والأزلية والأسماء الكلية.
- ٥- كتاب الأنسال.
- ٦- كتاب التوحيد.
- ٧- الجيم الأصفر.
- ٨- الجيم الأكبر.
- ٩- جمل النور والحياة والأرواح.
- ١٠- خزائن الخيرات.
- ١١- خلق الإنسان والبيان.
- ١٢- خلق خلائق القرآن والاعتبار.
- ١٣- الدرة إلى نصر القشوري.
- ١٤- الذاريات ذروا
- ١٥- سر العالم والمبعوث.
- ١٦- السمرى وجوابه.
- ١٧- السياسة إلى حسين بن حمدان.
- ١٨- السياسة والخلفاء والأمراء.
- ١٩- شخص الظلمات.
- ٢٠- الصدق والإخلاص.
- ٢١- الصلاة والصلوات.
- ٢٢- الصهيون.
- ٢٣- الطواسين.

٢٤ - الشجرة الزيتونة التورانية .

٢٥ - الظل الممدود .

٢٦ - الحياة الباقية .

٢٧ - العدل والتوحيد .

٢٨ - علم البقاء والفناء .

٢٩ - كتاب (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) وهو آية رقم (٨٥) من سورة القصص .

٣٠ - قرآن القرآن والفرقان .

٣١ - القيامة والقيامات .

٣٢ - الكبر والعظمة .

٣٣ - الكبريت الأحمر .

٣٤ - كيد الشيطان وأمر السلطان .

٣٥ - كيف كان وكيف يكون .

٣٦ - لا كيف .

٣٧ - المتجليات .

٣٨ - مواجيد العارفين .

٣٩ - والنجم إذا هوى .

٤٠ - نور النور .

٤١ - الوجود والأزل .

٤٢ - هو هو .

٤٣ - اليقين .

٤٤ - اليقظة وبدء الخلق .

٤٥ - الوجود الثاني .

٤٦ - مدح النبی والمثل الأعلى .

٤٧ - الأصول والفروع ^(١) .

وغير ذلك من المؤلفات التي عادة ما تذكر ويذكر معها الرثاء على هذا التراث الجم، الذي أصبح العشور على شيء منه ضرباً من العبث الذي لا طائل من ورائه . وأظنه لن يتحقق بسبب بسيط ذكره ابن النديم في الفهرست قال :

«وحرقت كتب الحلاج، وأخذ من الوراقين عهد بعدم تداولها وطاردت الدولة أنصاره، وقتلت عدداً منهم» .

وفي هذه العبارات ما فيها، يقول الدكتور علي الخطيب «وإذا كان هذا قد تحقق لهم ظاهرياً في عصرهم وأيام حكمهم وسلطانهم فإن الحلاج في نظرنا حياً بفكره وصوفيته وروحانيته . . .» .

وإطلالة على بعض المصادر التي تحدثت عن الحلاج، لا بد وأن يستقر في الأذهان كم هو باق حتى اليوم .

(١) انظر ما زوردها في مقدمة كتاب (أخبار الحلاج) بتحقيقنا فقد أوردنا عدداً من المؤلفات، ومواقع وجودها في العالم مخطوطة ومطبوعة، الكتاب طبعة المكتبة الأزهرية للتراث سنة ٢٠٠٠م .

مصادر ترجمة الحلاج

- قال صاحب معجم المؤلفين الجزء ٦٣/٤ عدداً من المؤلفات، التي تحدثت عن الحلاج وأضفت إليها عدداً آخر:
- ١- سير النبلاء للذهبي.
 - ٢- كنوز الأولياء ٢/١٢٤، ٢/١٢٧.
 - ٣- الطبقات الكبرى للشعراني.
 - ٤- التذكرة: طاهر الجزائري ٢/٤٨، ٢/٤٩.
 - ٥- فهرس المخطوطات الظاهرية بدمشق.
 - ٦- طبقات الأولياء (لابن الملقن) ١/١٧/٢/١٦.
 - ٧- طبقات الصوفية ٣٠٧ السلمي تحقيق نور الدين شريعة.
 - ٨- كشف المحجوب للهجویری ١٧٨.
 - ٩- نشوار المحاضرة للتوخی ج١/١٦٤.
 - ١٠- وفيات الأعيان ٢/١٤٤.
 - ١١- ذكر مقتل الحلاج ابن زنجی.
 - ١٢- أخبار الحلاج لويس ماسينيون.
 - ١٣- الكامل في التاريخ ابن الأثير ٨/٤٠.
 - ١٤- تجارب الأمم: لابن مسكويه ١/٨٠.
 - ١٥- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي ٨/١١٢، ١٤١.
 - ١٦- المنتظم: لسبط ابن الجوزي ٦/١٦٣، ١٦٤.
 - ١٧- ديوان الحلاج ط بغداد د. كامل مصطفى الشبيبي.
 - ١٨- شخصيات قلقة في الإسلام ترجمة د. عبدالرحمن بدوي.

- ١٩- التنبيه والإشراف: للمسعودي ٣٨٧.
 - ٢٠- الفهرست: لابن النديم ١/ ١٩٠، ١٩٢.
 - ٢١- روضات الجنات: الخوانساري ٢٢٦، ٢٣٧.
 - ٢٢- البداية والنهاية: ابن كثير ١١/ ١٣٢، ١٤٤.
 - ٢٣- تاريخ القرطبي ٤٥، ٥٥.
 - ٢٤- لسان الميزان: ابن حجر ٢/ ٣١٤، ٣١٥.
 - ٢٥- المختصر في أخبار البشر ٢/ ٧٥.
 - ٢٦- مختصر دول الإسلام ١/ ١٤٧.
 - ٢٧- شذرات الذهب لابن العماد، ٢/ ٢٥٣، ٢٥٨.
 - ٢٨- مرآة الجنان لليافعي ٢/ ٢٥٣، ٢٦١.
 - ٢٩- أخبار الحلاج: عبدالحفيظ هاشم.
 - ٣٠- Brokle man -gi: 199 21 p. 355 - 357.
 - ٣١- اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي د. علي الخطيب.
 - ٣٢- الحلاج: شهيد التصوف الإسلامي طه عبد الباقي سرور.
 - ٣٢- الحلاج: الثائر الروحي د. محمد جلال شرف.
 - ٣٤- الحلاج: في ما وراء اللون والخط والمعنى: سامي مكارم.
 - ٣٥- الفرق بين الفرق للبغدادى.
 - ٣٦- الفتوحات المكية: محيى الدين بن عربي.
 - ٣٧- مفاتيح الكنور وحل الرموز: العز بن عبدالسلام.
 - ٣٨- الرسالة القشيرية: أبو القاسم القشيري.
- وعدد كبير من المؤلفات عدتها هنا لأسباب خاصة تتعلق بالحلاج إذ أن أخباره تجمع من كل كتاب.

مخطوطة الكتاب

هذه النسخة هي الوحيدة في العالم محفوظة بمكتبة طلعت الملحقه بدار الكتب المصرية بالقاهرة وهي تحت رقم (٤٨٩٦ أدب طلعت) ومكتوبة بخط سنة ١١٩٩ هـ ٣٦ ورقة، من ورقه ١ إلى ورقه ١٨ رسالة بعنوان [تهذيب الكلام في ترتيب السلام] في نحو من عشرين بابا في تفسير السلام وبيان فضله، وفائدته، والرد، والابتداء به... إلخ تضمن أشعاراً قيلت في السلام.

أما من ورقة ١٩ إلى ورقة ٣٢ فهي (قصة الحلاج) التي بين يديك وبعض الأشعار من ورقة (٣٢ ب) ليس لها علاقة بأي من الرسالتين غير أن ناسخ هذه النسخة وجد فرصة لإضافتها، ربما كانت هذه الأشعار لمؤلف رسالة [تهذيب الكلام في ترتيب السلام] كما أنه أضاف بعض الأشعار بعد نهاية هذه الرسالة أي ورقة (١٨ ب).

● المخطوطة مبين عليها زمن النسخ (١١٩٩ هـ) وكذلك رسالة [تهذيب الكلام].

وكما هو موضح زمن النسخ في نهاية قصة الحلاج قائلا:

وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة نهار الجمعة عشرة أيام خلت من شهر شعبان المبارك الذي هو من شهور سنة تسعة وتسعين ومائة وألف من الهجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

هكذا سجل الناسخ زمن النسخ، ولعل لفظ الفراغ هنا قد يوحي بأنه الفراغ من التأليف - أي تأليف القصة وهنا لا بد أن أقول لا... لا.

والأما قال:

وهذا ما انتهى إلينا من قصة الحلاج... إلخ

• ثم ذكر الناسخ اسمه قائلاً :

قد تمت على يد عبده الفقير المعترف بالذنب والتقصير عيد خليل السكري الحنفى مذهباً النقشبندى طريقه . عامله الله بلطفه الحنفى . . . ولطف به فى جميع أموره . ورحم أسلافه ، وجميع أمة محمد ﷺ برحمته وهو أرحم الراحمين .
أمين . . . أمين . . . أمين .

هكذا لم يذكر هنا الناسخ مع ذكر اسمه أية إضافة تشير إلى زمن آخر مما يؤكد أن الزمن الأول هو الفراغ من النسخ .

• المخطوطة كتبت بخط معتاد، ويقرأ فى بعض المواضع بصعوبة بالغة .

• اعتمدت على صورة لها مصورة بالميكروفيلم تحت رقم (٢٠٣١٧) .

• مسطرتها ٢٣ سطراً .

• عدد الكلمات فى السطر الواحد من ٩ - ١١ كلمة .

• حجم النسخة فى حجم الربع .

• تبدأ قصة الحلاج من ورقة (١٩ أ) بعد سطرين فقط أنهى بهما الناسخ بقية

قصيدة شعر رديئة من ورقة (١٨ ب) .

• يبدأ العنوان هكذا .

«هذه قصة الحلاج وما جرى له مع أهل بغداد وكيف قتلوه وصلبوه وحرقوه»

وهى على التمام ولا حولاً (هكذا فى الأصل) ولا قوة إلا بالله العلى العظيم» .

منهج التحقيق

بما أن هذه النسخة هي الوحيدة في مكتبات العالم بعد رحلة بحث دؤوبة في فهارس المخطوطات والكتب التي تشير إلى مواضع المخطوطات في بعض بلدان العالم فإنني اعتمدت هذه النسخة لإخراج الكتاب وهي نسخة نادرة. وبقي أن أشير هنا إلى مشكلة هذه النسخة.

المشكلة الأساسية التي قابلتني في المخطوط عامة هي الفصحى والعامية، فالناسخ يصوغ اللفظ العامي كما هو لفظ (إجو) وغير ذلك ثم يدخل الصياغة الفصيحة بعد ذلك.

ومع احترازي الشديد لأن أنزل روح النص كما هي حتى لا يصاب بفقدان روحه الشعبية تركت النص على ما هو عليه وعلقت بالهامش على بعض الأخطاء اللغوية التي صادفتني وإن كنت لم أتشجع لها كثيرا إلا أنني اضطررت لإضافتها والإشارة إليها وهي ليست كثيرة.

• ورد بالنص كثير من أسماء الزهاد والمتصوفة فقامت بترجمة كل الأسماء أو الأعلام الموجودة وذكرت نبذة يسيرة عن كل واحد منهم.

• علقت على بعض المواضع والأفكار - في الهامش - والتي تأكدت أنها تحتاج إلى تعليق.

• شرحت بعض الألفاظ العامية والفصحى والتي توخيت أن أضيف للمقارئ بعض المعلومات عنها.

• شرحت بعض المصطلحات الصوفية التي وردت داخل النص.

• لم أتدخل في النص بأي حال وإن أردت شيئا أشرت إليه في الهامش.

• قمت بعمل قراءة أدبية للنص توخيت تقديمها لتعيين بعض القراء على فتح الحوار وطرح الأسئلة ليستفيد النص بذلك.

● قدّمت أفكاراً هامة شملت حياة الحلاج الصوفية والتاريخية بعنوان [الحلاج تاريخ ومعالم] قصّدت بها عنصر التجديد في الحديث عن الحياة التاريخية نظراً لما لقيه منهج السرد العادي من جناء.

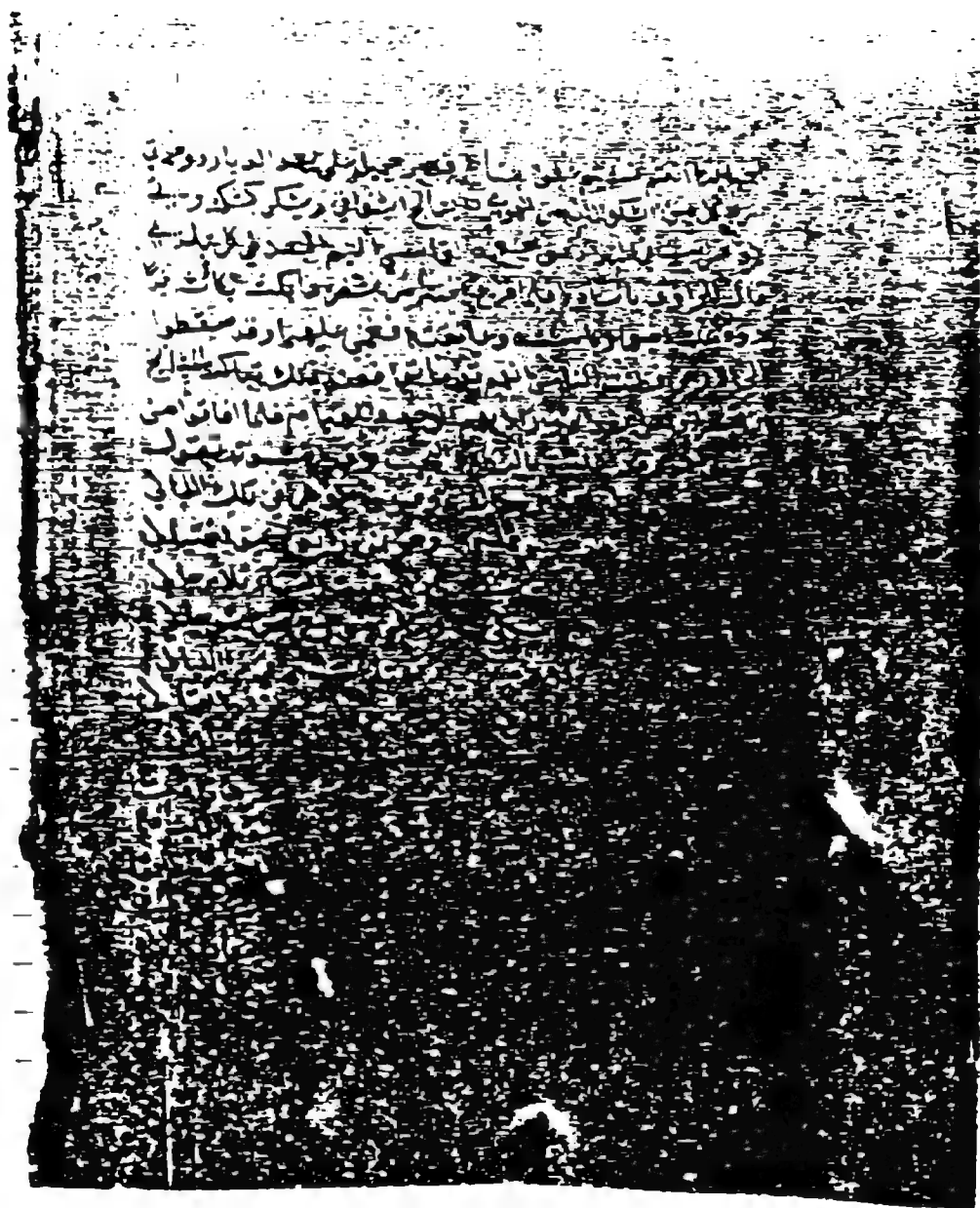
● لم تكن هناك فهرس ختامية بالمعنى المتعارف عليه في كتب التحقيق لذا لم تلزم إضافة فهرس في نهاية الكتاب لأن المقام هنا مقام الإبداع والقص وليس مقام الدراسة العادية.

● أرجو أن يعفو القارئ عما سهوت عنه، وإنني أشهد الله أنني ما ادخرت وسعاً لإخراج هذا الكتاب إلى النور فرحاً به. عايشته وقرأته مرات وإنني لأرجو أن أثاب منه وحده لقاء تقديمه للمكتبة وللقارئ وللباحث عن الحقيقة.

المحقق

**نماذج من صور المخطوطة
الوحيدة تبين حالها وأهميتها**

ويكنى قنبراً ثمكته عن شيخ بهجة من الزهاد وحدثني الشيخ عن
 لقا والمقلا ولاداد بن حارث قد روتاه وقد صار من الرواة في
 بلاد الري ثم من بلاد بلخ في حقه ما كان من روايته عن
 دجستان ولا يعرفه في الوقت الذي كان فيه بيننا الشيخ عبد الرحمن
 بن أبي ربيعة والمنكره هو شيخه في بلخ وهو من الرواة
 في بلخ وولاية من السجدة هو شيخه في بلخ
 وقد نشره في ولاية بلخ من الرواة في بلخ
 الشيخ من الرواة في بلخ من الرواة في بلخ
 الشيخ من الرواة في بلخ من الرواة في بلخ
 ولم يعلم رافقاً بل من الرواة في بلخ من الرواة في بلخ
 فخر من رواه هذا ورقتة فليروا من الرواة في بلخ من الرواة في بلخ
 جوفهم من الرواة في بلخ من الرواة في بلخ من الرواة في بلخ
 ففعلت يد به ورجله وقلب وحرقة وذرة رادة والبرق
 لا بعد اوجين واقفي وهو بكر وقد التهب قلبه بنور حق
 جل جلاله وعلى كماله وتراءفت علينا انفسه ففخرنا الشيخ
 فزاد احواله قد تغيرت وما راي احد يقوله لا كلام وقائمه
 فيطعم ويمنع في اللامه لا يد وناقض فانكر عليه الشيخ وقال
 اليه وقال له قال في اصابك وما جازك فقال له يا شيخه
 من جنابه وقفت في بابيه وبشرعني به حال واقترابه واسره
 القواد من حبه واقتابه وطاب لي ما سمعت في الدجا
 من لدني خطابه ثم ان حنيني بك يا شيخه قد مضى فني
 عليه واشتد يقول بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
 لا يا ابا عبد الله حسرتي لا يا ابا عبد الله حسرتي لا
 لا يا ابا عبد الله حسرتي لا يا ابا عبد الله حسرتي لا



الصفحة (١٣٠) من المخطوط توضح عيب عملية التصوير التي عانينا منها



الصفحة (٣٠ب) من المخطوط

وان الارض قد خضت بهم وكادت النفس ان تقع بسهم
 فقال له حين يا مشايخ ويا فقرا لا تؤخروا وحكم قاضي
 حلت كل من اسأله لاجل شي الجسد ولاجل شيء منكم
 الوهاب ثم اخرج حبس من هذا السلام قال له اجده ارحم
 فرمده الناس بالهارة وبضلك ويتبسه في المنة وتور
 طيب نسب في رقي اخيه ما حس حبس وقت هذه فبكر جودا مع
 فقام شيخ الجسد ورمحه بمرده حرا وراه بها فقال حين دس منه شيء هذا القدر
 ايه يا شيخي استني وقتلني وبلا شئ بد من هذا الوردة يا ودي قسيس وعلا
 فقال ليحسب الناس قد رجعوا لا بلا شيء فانا ذيت الامس القمار والخرقة فقال له
 وتمردي قال اما تعلم ان موب الحب يد يد واخر في الفراع
 الى ان فات ثم نزلوه وحرقه بالنار الى ان لم يبق منه شيء
 وقد وقعت الحمة على بعدا فانت اخيه واخذت من رماه
 شيئا وتركته عند ما بعد عدة ثلاثة ايام من موت
 حين طافت اكد جلد على بعدا وخرجت الى الكدور حيا
 بقوم من هذا خلق النساء في هذا ريت الى حاله وصحته
 الى الاسلم والمجاهدين وكثيرا تصيح واليهم والامم الحرج
 فيبلغ الى ان لم يبق في طائر وقد احدثوا الاطفال في وقت
 الياء انكبار قال فاستغاثت الناس باخت حبس
 الحلاج فرجعت باخت حين واخذت رماذ اخي فاحسب
 الحلاج وصعدت به الى مكان عالي ورمت به في الحفرة
 وقالت لا يا ابا الحماة يلم فليلا اخي حين الحلاج والاسلم
 ان نعيم فانه من حلا من اسأله لاجل شيء منكم
 قال فبعد الى من ساعته وركن وتراجعت الناس على

[illegible]

نَصْرُ كِتَاب

قصة الحلاج

وما جرى له مع أهل بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ذكروا، والله أعلم بغيبه وأحكم، وأعز وأرحم، فيما مضى وتقدم، وسلف من أحاديث الأمم:

أنه كان في قديم الزمان، وسالف العصر والأوان. في مدينة بغداد على زمان الشيخ «الجنيد»^(١)، رحمه الله تعالى امرأة صالحة لم ترزق ولدًا ذكرًا. فنذرت الله تعالى: إن وضعت ولدًا ذكرًا تجعله خادماً للفقراء، ونوّه به^(٢) إلى الشيخ الجنيد. فاستجاب الله تعالى لها دعاها^(٣) وحملت. فلما وضعت جابت غلامًا كان البدر في تمامه فسمته: «حسين» وربته إلى أن صار له من العمر ثمانى سنين.

فقال له في بعض الأيام: يا ولدى أعلم أنى نذرت الله تعالى إن وضعت ولدًا ذكرًا جعلته خادماً للفقراء، وها أنا قد وضعتك ولدًا ذكرًا، وأحسن تربيته، وأريد أن أهبك^(٤) إلى الشيخ الجنيد يعلمك مما علمه الله تعالى. فما يكون عندك من الرد.

(١) الشيخ الجنيد:

هو شيخ المشايخ أبو القاسم، الجنيد بن محمد البغدادي القواريري كان مقبولا عند أهل الظاهر والباطن على السواء، كاملا في كل فقه ثقة في التوحيد والشريعة والحقيقة وكان تلميذا للثوري، عباراته عالية، وحاله كامل حتى أن كل الصوفية اعترفوا له بالإمامة في المعرفة كانت والدته شقيقة السرى السقطى الذى تتلمذ الجنيد على يديه، وكان من مريديه. كان يقول «كلام الأنبياء نبأ عن الحضور، وكلام الصديقين إشارة عن المشاهدات». انظر ترجمته فى:

كشف المحجوب للهجویری ص ١٥٦. والطبقات الكبرى لشعرانى ط ٧٢/١ والرسالة

القشيرية، ٢٤ وطبقات الصوفية ص ١٥٥. ومصادر ترجمته فى كثير من المراجع.

(٢) الصحيح أنه كان يقول: (وتبیه). ولكن أبقيت هنا على الصياغة العامة للنص خشية تغير طبيعته.

(٣) لم أشأ أن أضع الهمزة هنا لنفس السبب.

(٤) هنا كان لابد من وضع حرف «إن» ليفصل بين الفعلين ولم أجد مناصا من جعل صحة الفعل هى الأصل.

ففى الأصل (وأريد أوهبك).

فقال لها:

يا أماء إفعلى ما بدالك. فإنى لست^(١) بمن يخالف والديه.

فلما سمعت من ولدها ذلك الكلام. أخذته ومضت به إلى أن أقبلت على الشيخ الجنيذ، وسلمت عليه. فرد عليها السلام.

وقال لها: ما تريدين يا حُرمة.

ف قالت له: أعلم أيها الشيخ، يا سيدى، أنى نذرت إن جانى ولد ذكر^(٢) جعلته خادماً للفقراء. وقد جئت أوفى ما نذرت. فاقبله منى. وعلمه كتاب الله تعالى.

فأخذه الشيخ منها، ومضت إلى حال سبيلها.

فقال له الشيخ: يا ولدى حسين. إخدم الفقراء فى الزاوية، حتى تنال الخير.

فقال له: السمع والطاعة لله ثم لك.

ثم إن حسين صار خادماً للزاوية، والفقراء. يكنس الخلوات^(٣)، ويملا الأباريق، ويدير النعال للفقراء، ويرفع سجادة الشيخ وينفضها، ويكنس تحتها. فمكث عند الشيخ برهة^(٤) من الزمان. وقد علمه الشيخ العلم، والفقه، والعقل، والآداب. حتى صار له قدر وشأن، وقد صار من الأولياء الأخيار، رضى الله عنه. فلم يزل على هذه الحال حتى أراد الله تعالى له بالسعادة، وبدت له الولاية.

قال الراوى يا سادة:

(١) فى الأصل: (فإنى ليس أنا). والتعديل هنا فى ظنى لاختطأ النسخ. وليس ضبطاً كما قد يرى البعض.

(٢) هنا يظهر أكثر مدى ما يرتكبه النساخ من الأخطاء فيرفعون المنسوب وينصبون المرفوع، ويحذفون، ويحرفون الكلم عن مواضعه. ربما كان هذا الغرض شخصى، وربما لإهمال. وما نراه فى عمل التحقيق كثيراً على أيديهم.

والإشارة هنا أنه فى الأصل (ولداً ذكراً) هكذا. انظر صورة المخطوط ولا يمكن ترك خطأ كهذا مع طبيعة الصياغة العامة التى تملأ روح النص.

(٣) الخلوات: جمع خلوة. وهى المكان الذى يستنجد فيه جماعة الصوفية. وتجمع على خلوى، وخلوات وهى ما قبل الوضوء. . . ويجوز أن تكون الخلوة التى بمعنى موضع الاعتزال والتسيح.

(٤) كان من المناسب هنا أن يقول: «مدة من الزمان».

فبينما الشيخ الجنيد قاعد فى بعض الأيام، فى الزاوية. والفقراء حوله يستمعون ما يقول. وإذ قد نزلت له ورقة بالولاية من السماء. فوضعها تحت السجادة لأمر يريده الله، وقام ليتوضأ حتى لا يمسها إلا على طهارة؛ لأن فيها اسم الله الأعظم.

فلما خرج الشيخ من الزاوية. دخل حسين على حسب العادة، وكنس الزاوية، ونفض السجادة؛ فوقعت منها الورقة فأخذها حسين وبلعها، على حب التبرك، ولم يعلم ما فيها. فلما دخل الشيخ فتش على الورقة فلم يجدها.

فقال: يا فقراء من رأى^(١) منكم هنا ورقة فليردها.

فلم يرد عليه أحد جواباً^(٢). فأراد أن يخوفهم حتى يردوها عليه.

فقال لهم: من رأى ورقة ولم يردها على قُطِعَتْ يدها، ورجلاه^(٣) وصلب، وحرق، وذر رماده فى الهواء^(٤).

كل هذا وحسين واقف وهو يبكى، وقد التهب قلبه بنور الحق، جلّ جلاله، وعلا^(٥) كماله؛ وترادفت علينا أنفضاله. فنظر إليه الشيخ فرأى^(٦) أحواله قد تغيرت، وصار لا أحد يفهم له كلاماً^(٧). وصار يشطح ويزيد فى الكلام رائد وناقص. فأنكر عليه الشيخ والتفت إليه، وقال له:

ما الذى أصابك، وما جرى لك؟^(٨)

فقال له:

يا شيخى نسمة من جنابه، وقفتنى بيبابه، وبشّرتنى بوصاله واقترابه، واستراح الفؤاد من هجره واحتجابه، وطاب لى ما سمعت فى الدجى^(٩) من لذيد خطابه^(١٠).

(١) فى الأصل: «من راء».

(٢) فى الأصل: «جواب».

(٣) فى الأصل: «قطعت يديه ورجليه».

(٤) فى الأصل: «وعلى».

(٥) فى الأصل: «كلام».

(٦) فى الأصل: «ففى الدجا».

(٧) فى الأصل: «وماجرا».

(٨) فى الأصل: «ففى الدجا».

(٩) فى الأصل: «ففى الدجا».

(١٠) انظر ما قيل فى المقدمة ص ١٦ حول ورود هذه الفقرة شعراً على مجزوء الخفيف.

ثم إن حسين بكى بكاءً^(١) شديداً حتى غُمى عليه، وأنشد يقول، بعد الصلاة على النبي ﷺ.

أَلَا يَا لَيْلُ مَحْبُوبِي تَجَلَّى^(٢) أَلَا يَا لَيْلُ لِلْغُفْرَانِ هَلَا^(٣)

أَلَا يَا لَيْلُ مَا أَبْهَى وَأَحْلَى^(٤) أَلَا يَا لَيْلُ أَكْرَمَنِي وَجَلَّى^(٥)

وَلَا طَفَنِي إِلَى أَنْ صِرْتَ كَهَلَا

أَلَا يَا لَيْلُ وَجَدِي قَدْ بَرَانِي أَلَا يَا لَيْلُ مَحْبُوبِي دَعَانِي

أَلَا يَا لَيْلُ فِي الْحَضْرَةِ سَقَانِي أَلَا يَا لَيْلُ مِنْ خَمْرِ الدُّنَانِ

مُدَامًا فِي إِلَّا (.....)^(٦)

أَلَا يَا لَيْلُ مَنْ شَرِبَ الْمُدَامَا أَلَا يَا لَيْلُ إِنِّي مُسْتَهَامَا

أَلَا يَا لَيْلُ قَدْ هَجَرَ الْمَنَامَا أَلَا يَا لَيْلُ فِي الْحَضْرَةِ وَهَامَا

وَقَتْلِي فِي الْهَوَى مَا كَانَ جَلَا

أَلَا يَا لَيْلُ يَكْفِينِي سِقَامِي أَلَا يَا لَيْلُ دَمْعِي قَاضٍ عَامٍ^(٧)

أَلَا يَا لَيْلُ مِنْ عِظَمِ الْغَرَامِ^(٨) أَلَا يَا لَيْلُ زَادِي الْهُيَامِ^(٩)

شَطَحْتُ بِسُكْرَةٍ^(١٠) الْأَبْرَارِ سَهْلًا

أَلَا يَا لَيْلُ لِلْمَوْلَى رِجَالٌ^(١١) أَلَا يَا لَيْلُ قُرْبَ الْحَقِّ نَالُوا

أَلَا يَا لَيْلُ قَدْ كُشِفَ الْجَمَالُ^(١٢) أَلَا يَا لَيْلُ قَدْ صَدَّقَ الْمَقَالُ^(١٣)

تَرَاهُمْ فِي هَوَى الْمَحْبُوبِ قَتْلًا

(١) في الأصل : (بكاء بكاء) وستكرر كثيرا وسأكتفي بهذه الإشارة. قدر الإمكان.

(٢) في الأصل : (تجلا). (٣) في الأصل : (أهلا) وتجاوز مع عدم نطق حرف الالف.

(٤) في الأصل : (أبها وأحلا). (٥) في الأصل : (وجلا).

(٦) عليها سواد في الأصل. (٧) في الأصل (عامي) ولكنها (م) مشبعة.

(٨) كالسابقة. (٩) كالسابقة والمفروض أنها مرفوعة والكسر هنا للضرورة.

(١٠) في الأصل : (بسكرتي). (١١) في الأصل : (للمولا رجالوا).

(١٢) في الأصل : (كشفوا الجمال). (١٣) في الأصل : (صدقوا المقالوا).

أَلَا يَالَيْلُ^(١) أَقْوَامٌ كِرَامُ أَلَا يَا لَيْلُ قَدْ شَرِبُوا فَهَامُوا
أَلَا يَالَيْلُ جُنَحَ اللَّيْلِ قَامُوا أَلَا يَا لَيْلُ قَدْ صَلُّوا وَصَامُوا
سُجَّدًا رُكْعًا يَنْغُونَ فَضْلًا

أَلَا يَالَيْلُ قَدْ طَابَ الشَّرَابُ أَلَا يَا لَيْلُ قَدْ سَكَّرُوا^(٢) فَطَابُوا
أَلَا يَالَيْلُ قَدْ طَابُوا فَغَابُوا^(٣) أَلَا يَا لَيْلُ قَدْ زَادَ الْعِتَابُ
وَطَابَ الْوَصْلُ يَامُغْرَمُ تَعْلَى^(٤)

أَلَا يَالَيْلُ قَدْ كَثُرَتْ ذُنُوبِي أَلَا يَا لَيْلُ قَدْ ظَهَرَتْ عِيُوبِي
أَلَا يَالَيْلُ زَادَ بِيَ النَّحِيبُ أَلَا يَا لَيْلُ نَادَ مِنِّي حَبِيبِي^(٥)
وَقَرَّ بَنِي وَلَا عَنِّي تَخْلِي^(٦)

أَلَا يَالَيْلُ لِي قَلْبُ كَسِيرٌ^(٧) أَلَا يَا لَيْلُ لِي وَجْدٌ كَثِيرٌ
أَلَا يَالَيْلُ بِي دَمْعٌ غَزِيرٌ أَلَا يَا لَيْلُ إِنِّي مُسْتَجِيرٌ
بِحَاجَةِ الْمُصْطَفَى مَنْ نَالَ فَضْلًا

قال الراوى؛ يا سادة: فلما فرغ حسين من كلامه وشعره، قال له شيخه: يا حسين أنت وصلت إلى هذه المترلة؟

إن كنت وصلت إليها فعليك بكتمان الأسرار.

فقال له: يا شيخى ما لى قوة على كتمان الأسرار.

(١) سقطت من الأصل.

(٢) فى الأصل: (بدون ألف).

(٣) فى الأصل: (فغابوا).

(٤) فى الأصل: (تغلا).

(٥) فى الأصل: (حبيب).

(٦) فى الأصل: (تذلو) ولا تصح وأينا أن نضع مكانها كلمة (تخلى) لتناسب المعنى والىاق.

(٧) اليتان التالان تم ضبطهما بمعرفة المحقق وكان فى الأصل هكذا.

ألا يا ليل قلت كـسـيـرـا ألا يا ليل لى وجدا كـثـيـرـا
ألا يا ليل لى دمع غـزـيـرـا ألا يا ليل لى مستجـيـرـا

فقال له: كيف ترى^(١) نور المحبة في قلبك؟

فقال له: أرى نورها في قلبي، فلم أر إلا ربي. فأخذ عقلى منى، وقد سلبنى عنى. ثم نظرت منه إليه، فلم أر^(٢) فى الكون إلا هو.

ثم إن حسين أنشد يقول هذا القول الزكى^(٣):

طَابَ السَّمَاعُ وَهَبَّتِ النَّسَمَاتُ
وَتَوَاجَدَتْ فِي حَانِهَا السَّادَاتُ
سَمِعُوا بِذِكْرِ حَبِيبِهِمْ فَتَهَتَّكُوا
خَلَعُوا الْعِذَارَ وَدَارَتِ الْكَاسَاتُ
طَرَبُوا قَطَابَتَ بِالْقُلُوبِ أَرْوَاحُهُمْ
كَتَمُوا قَبَاحَتَ مِنْهُمْ الْعَبَرَاتُ
شَرَبُوا بِأَقْدَاحِ الصَّفَا لَمَّا صَفَوْا
سَكَرُوا فَسَلَّحَتْ مِنْهُمْ حَالَاتُ
ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ بَوَاطِنِ سِرِّهِمْ
نَفَّحَاتُ سِرِّ كُلِّهَا رَاحَاتُ
هَطَلَتْ مَدَامِهِمْ عَلَى وَجَنَاتِهِمْ
وَتَصَّاعَدَتْ مِنْ شَوْقِهِمْ زَقَرَاتُ
زَادَ الْغَرَامُ وَفِي حِشَامِهِمْ جَمْرَةٌ
شَرَقَا إِلَيْهِ بِقُلُوبِهِمْ حَسَرَاتُ
نَشَرَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ مَجَالِسِ ذِكْرِهِمْ
نِعَمٌ وَطَابَتِ مِنْهُمْ الْأَوْقَاتُ

(١) فى الأصل: (نزا). (٢) فى الأصل: (فلم أرى).

(٣) أنظر الديوان للشبي: ينقص عن هنا بيتان، وهناك تغيير بسيط فى بعض الكلمات. قارن سقط من الديوان البيت الثامن هنا والبيت العاشر أيضا مع اختلاف كبير فى البيت السابع «وعجز البيت الثالث، وغير ذلك.

فَتَعَطَّرْتُ رِيحُ الصَّبَا مِنْ عِطْرِهِمْ
وَسَرَتْ بَنَشِيرِ رَوَائِحِ الْفَيْحَاتِ
وَالدَّهْرِ يَمْضِي فِي رِضَاهُمْ رَاحَةً
وَبِحَقِّ فَيَاهُمْ طَابَتِ الرَّاحَاتُ

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره صار يشطح ويزيد فى الكلام زائد وناقص، وقد غرق فى بحر الوداد. فصار الشيخ يرسله إلى السوق بالدراهم ليشتري للفقراء ما يحتاجون إليه. فصار^(١) يأتى إلى السوق فيقف عليه. فيقول له السوق^(٢): ما تريد يا حسين.

فيقول:

«لا إله إلا الله. ما أريد إلا الله.»

وهو يشطح فى الكلام زائد وناقص، ويظنون كلامه لحنا وتبيلاً، وكفرًا^(٣) يا سادة. . وصار يبكى بكاء شديدا وهو ينشد ويقول:

يَا عَوْضِي مِنْ عَوْضِي	وَصِيحَّتِي مِنْ مَرَضِي
يَا مَنْ هَوَاهُ دَائِمًا	فِي مُهْجَتِي لَا يَنْقُضِي
هَيَّئْتُ قَلْبِي سَيِّدِي	وَالْقَلْبُ فِي الْفِعْلِ رَضِي
وَقَدْ رَضِيْتُ بِمَا قَضَى	رُوحِي فِدَاهُ إِنْ رَضَى ^(٤)

(١) فى الأصل: (فصارا). (٢) المقصود هنا طبعاً: (أهل السوق).

(٣) فى الأصل: (لحن. وتبديل. وكفر).

(٤) هذه الأبيات على مجزؤه الكامل، وردت فى المخطوط متثورة، وأوردها الشيبى فى الديوان مع اختلاف فى بعض الأبيات وجاءت على هذا النحو:

يَا عَوْضِي مِنْ عَوْضِي	وَصِيحَّتِي مِنْ مَرَضِي
يَا مَنْ هَوَاهُ دَائِمًا هَيَّئْتُ قَلْبِي	فِي مُهْجَتِي لَا يَنْقُضِي
هَيَّئْتُ قَلْبِي سَيِّدِي	وَالْقَلْبُ بِالْقُفْلِ رَضَى
أَفْنَيْتُنِي أَضْيَيْتُنِي	قَلْبِي بِذِكْرِكَ رَضَى

وهذه الأبيات من المقاطع المنسوبة للحلاج هكذا قال الشيبى انظر الديوان ص ١١٤ المقطع (٣٤).

قال الراوى يا سادة :

فلما فرغ حسين من شعره قام^(١) أهل بغداد كلهم، وإجوا أيضا كلهم، إلى عند الشيخ الجنيد، رضى الله عنه :

إعلم أن مريدك حسين قد أتعبنا، وهو يشطح ويتكلم بكلام لم يدخل فى العقل، ولا فى البال. وقد شغلنا عن بيعنا وشرانا، وقد أوقف^(٢) حالنا فنسألك أن ترده عنا .

فقال لهم الشيخ :

انصرفوا فإذا حضر^(٣) فأنا أؤدبه .

فما أمضوا ساعة إلا وحسين قد حضر إلى بين يدى الشيخ .

فقال له الشيخ : يا حسين إيش هذا الحال . إعلم أن أهل بغداد قد إجوا إلى عندي . وشكوا منك، ومن شطحك . ومن كثرة كلامك، وقد أتعبتني وأتعبت نفسك، فارجع عما أنت فيه، ولا ترمى روحك فى الهوان^(٤) فيقطعون منك الأوصال، ويعذبوك بأشد العذاب^(٥) .

فقال له : التعذيب فى رضى الحبيب

ثم إن حسين، رضى الله عنه، أنشد يقول هذه الأبيات كما ترى مفصلا بأحسن^(٦) كلام .

(١) فى الأصل : (قامت) .

(٢) فى الأصل : (واقف) .

(٣) فى الأصل : (فا إذا حضرا فا انا ادبه) هكذا يرسم الناسخ كثيرا من الألفاظ .

(٤) فى الأصل : (ولا ترمى روحك فى الهون) .

(٥) وتعليقى من حيث المعنى . هل يكرر النبوة هنا مرة أخرى؟ أم يعيدها واضحة ويؤكددها؟ فهو فى المرة الأولى يقول له : فمن رأى ورقة ولم يردها على قطع يده ورجلاه، وصلب، وحرق، وذر رماده فى الهواء) .

نعم قال الشيخ له هذا اثناء بحثه عن ورقة الولاية التى جاءت له وابتلعها الحسين، وسكت

خوفا . ترى كيف يفسر الضمير الشعبى هذا المعنى إذا تكرر تصور النبوة؟

لكن النهاية المتصورة فى الحقيقة واحدة وإن اختلفت الطرق . أم فى الأولى مجهولة وفى الثانية معلومة؟

(٦) فى الأصل : (يا أحسن) .

غَفَلْتُ وَحَادِي الْمَوْتِ فِي أَثَرِي يَجِدُ
 وَإِذْ لَمْ أَمُتْ يَوْمًا فَلَا بُدَّ مَا أَمَدُ
 أَرَى الْعُمَرَ قَدْ وَلَّى وَلَمْ أَبْلُغِ الْمُنَى
 وَلَيْسَ مَعِيَ زَادٌ وَفِي سَفَرِي بُعْدُ
 فَرَوَا أَسَفِي لَوْ كَأَنَّ يُغْنِي تَأْسُفِي
 وَوَاهٍ، وَوَجْدَاهُ لَوْ يَنْفَعُ الْوَجْدُ
 عَلَى مَوْتٍ مِثْلِي وَهُوَ خَاوٍ مِنَ الثُّقَى
 وَلَيْسَ مَعِيَ تَقْوَايَ وَلَيْسَ مَعِيَ زُهْدُ
 أَنْعَمَ جِسْمِي بِالثُّيَابِ وَلَيْنَهَا
 وَلَيْسَ لِجِسْمِي مِنْ ثِيَابِ الْبِلَى بَدُ^(١)
 كَأَنِّي وَقَدْ مُدِدْتُ فِي بَرْزَخِ الْبِلَى
 وَمِنْ فَوْقِي رَذَمٌ^(٢) وَمِنْ تَحْتِي اللَّحْدُ
 وَقَدْ مُحِيتَ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ كُلُّهَا
 وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ الْعَظْمِ لَحْمٌ وَلَا جِلْدُ
 فَسَوَّالَهُ لَمْ أَخْشَ لَشْيٍ سِوَى الْبِلَى^(٣)
 وَقَدْ جَاءَ مِنْ رَبِّي وَعِيدٌ وَجَاءَ وَعْدُ
 لَقَدْ كَانَ لَنَا بِالْمَوْتِ وَعَظٌ وَبِالْبِلَى^(٣)
 وَقَدْ غَابَ عَنَّا الْاَهْلُ وَانْقَلَبَ الرُّشْدُ

(٢) فِي الْأَصْلِ: (رَدْمًا)

(١) فِي الْأَصْلِ: (الْبَلَايِدُ)

(٣) فِي الْأَصْلِ: (الْبَلَا)

وَقَدْ كُنْتُ لِلَّهِ الْمُهَيِّمِينَ عَاصِيًا
 وَأَخَذْتُ أَحْدَاثًا^(١) وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ
 وَأَرَخَيْتُ وَقْتَ اللَّيْلِ سَتْرًا^(٢) مِنَ الْجَفَا
 وَلَمْ أَخْشَ مِنْ سِرٍّ غَدَا عِنْدَهُ يَنْدُو
 عَنِّي غَافِرُ الزَّلَّاتِ يَغْفِرُ^(٣) زَلَّتِي
 وَقَدْ يَغْفِرُ الْمَوْتَى إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ
 إِلَهِي تَرَى^(٤) نَفْسِي وَقَلَّةَ صَبْرِهَا
 إِذَا لَاحَ ضَوْؤُ الْبَرْقِ أَوْسَبَّحَ الرَّعْدُ
 فَكَيْفَ إِذَا أَحْرَقَتْ بِالنَّارِ مُهْجَتِي
 وَتَارَكَ لَا يَقْوَى لَهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ
 أَنَا الْفَرْدُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَالْقَبْرِ فِي الْبَلَى^(٥)
 وَأَبْعَثْ فَرْدًا فَارْحَمِ الْفَرْدَ يَافَرْدُ
 سَأَلْتُ إِلَهَ الْعَرْشِ يَغْفِرْ زَلَّتِي
 إِلَهَ لَهُ الْإِكْرَامُ وَالْجُودُ وَالْحَمْدُ
 وَمَالِي شَفِيعٌ غَيْرَ جَاهٍ مُحَمَّدٍ
 وَمَنْ جَآهَهُ فِي الْحَشْرِ لَيْسَ لَهُ رَدُّ
 عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ مَا لَاحَ بَارِقُ
 وَمَا هَطَلَتْ^(٦) سُحُبٌ وَمَا قَهَقَهُ الرَّعْدُ

(٢) في الأصل : (ستر)

(٤) في الأصل : (ترأى نفسي)

(٦) في الأصل : (سبحت)

(١) في الأصل : (أحداث).

(٣) في الأصل : (يفغر لي زلتى). تكرر الوزن

(٥) في الأصل : (البلا)

قال الراوى يا سادة :

فلما فرغ حسين من شعره وكلامه ترك شيخه، وسار وهو يشطح . وزاد وقد غرق فى بحر الوداد . فالتمت أهل بغداد، وإِجُوا إلى الشيخ الجنيد، رضى الله عنه ، وقالوا :

يا سيدى الشيخ لقد زاد مُر يدُك حسين فى الكلام ولا بقى (١) لنا عليه صبر ولا احتمال .

فقال لهم الشيخ :

أُمسكوه حتى (٢) أحبسه فى مخزن القطن غداً وحتى (٣) أدبر فيه أمراً إما أن يرجع عما هو فيه وعن مقاله، وإما تشغله بقطع أوصاله . فجاءوا إليه، واستجمعوا، وقبضوا (٤) عليه وأدخلوه إلى مخزن القطن . فبكى (٥) بكاءً شديداً وأنشد يقول هذا الكلام الآتى ذكره كما ترى (٦) .

يَظُنُّونَ أَنَّ الْحُبَّ هَزَلٌ بِلَا جَدٍّ (٧)

وَمَا ذَاكَ إِلَّا وَصْفٌ زَائِدُ الْحَدِّ (٨)

وَمَا عَلَتْ نَارُ الْهَوَى بِمُتَتِّيمٍ (٩)

بِذَا الْحُبُّ أَنْ لَا يُعِيدُ وَلَا يُتَدِي

أَقْلُ الْهَوَى مَا كُنَى الصَّبُّ اسْمَهُ

وَأَيَسَرَّةُ نَارٍ تَضُرُّمُ بِالْوَقْدِ

وَأَوْسَطُهُ نَارُ الْغَرَامِ تَسْقُرُّ

إِذَا مَا مَضَى جِلْدٌ (١٠) تَبَدَّلَ لِي جِلْدٌ

(١) فى الأصل: (ولا بقائنا) .

(٢) فى الأصل: (بدون واو) .

(٣) فى الأصل: (فبكا) .

(٤) فى الأصل: (بلا جدى) .

(٥) فى الأصل: (عتيم) .

(٦) فى الأصل: (حتى إنى أحبسه) .

(٧) فى الأصل: (وقبضوه) .

(٨) فى الأصل: (كما ترى) .

(٩) فى الأصل: (زائد الخدى) .

(١٠) فى الأصل: (جلداً) .

وَلَكَ وَدَادٌ لَا يَكُونُ مُسَرَّمًا
إِلَى يَوْمٍ مِيعَادِ الْوَرَى لَيْسَ بِالْوَدِّ (١)
فَكَمْ لَيْلَةٌ قَدْ نِلْتُهَا فِي ظِلَامِهَا
أُنَادِمُ أَنْفَاسَ (٢) الزَّمَنِ الشَّهْدِ
وَكَمْ لَيْلَةٌ فِي الْحُبِّ مَكْرَانَ هَائِمٍ
يَحْبِي وَقَلْبِي هَوَى مُقِيمٍ عَلَى الْعَهْدِ
تَطُوفُ عَلَيْنَا خَمْرٌ مَعْنَوِيَّةٌ
مُؤَيَّدَةٌ جَلَّتْ عَنِ الْكَيْفِ وَالْحَدِّ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا إِنَّهَا بِعَنَابِ
مُعْظَمَةٍ بِالْعِزِّ سَابِقَةُ السَّعْدِ

قال الراوى يا سادة يا كرام:

فلما فرغ حسين من شعره وكلامه. بكى بكاءً شديداً، وبات فى مخزن القطن وهو واقف على أقدامه إلى الصباح. ساعة يقرأ القرآن، وساعة يذكر الله تعالى، وساعة ينشد الأشعار ويكى بدموع غزار. فعند ذلك أنشد يقول هذه الأبيات الآتى ذكرها، كما ترى. وما أحلى من هذا الكلام:

يَا كِرَاماً بَوَصَلِهِمْ جَبَرُونِي
وَبِأَنْطَافٍ قَضَلِهِمْ غَمَرُونِي
مَنْعُونِي الرُّقَادَ فِي اللَّيْلِ لَمَّا
عَلَّقُوا حُبَّهُمْ بِقَلْبِي سَلَبُونِي

(١) فى الاصل: (بالودى).

(٢) فى الاصل: (أنفاس الزمن).

أَنَا عَبْدُ لَهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ
 خَاضِعًا خَاشِعًا لَهُمْ خَلَقُونِي
 فَارْغُ الْقَلْبِ مِنْ سَوَاهُم عَسَى هُمْ
 عَبْدُ رِقِي بِيَابِهِمْ أَقْعَدُونِي (١)
 هُمْ دَعُونِي إِلَيْهِمْ بِرِضَاهُمْ
 وَحَمُونِي عَنْ غَيْرِهِمْ وَمَدُونِي
 أَوْجَدُونِي عَبْدُ رِقِي فَمَا لِي
 غَيْرَ حُبِّي لَهُمْ بِهِ خَصُّونِي (٢)
 أَوْقِفُونِي بِيَابِهِمْ عَنْ سَوَاهُمْ
 خَادِمًا دَائِمًا بِهِمْ جَبَرُونِي
 فَتَحُوا لِي أَبْوَابَهُمْ لِهَدَاهُمْ
 وَأَدْخِلُونِي عَلَيْهِمْ وَأَوْقِفُونِي
 عَبْدُ رِقِي بِحُبْنِهِمْ أَتَمَلَّى (٣)
 وَيَا لَطَافِ فَضْلِهِمْ رَحْمُونِي
 أَطْلِقُونِي مِنْ قَيْدِ أَسْرِ سَوَاهُمْ
 وَيَا فَضْلَ جُودِهِمْ قَيِّدُونِي
 رَقُّوا إِلَى الْمَدَامِ فِي الْحَيَاتِ لَمَّا
 أَخَذُونِي مِنِّي وَصَدَقَا سَقُونِي
 خَمْرَةَ الْمُصْطَفَى شَرِبْتُ حَقِيقًا
 بِالْوَقَا وَالرُّضَا بِهَا عَرَّفُونِي

(٢) فِي الْأَصْلِ: (خَصُّونِي) .

(١) فِي الْأَصْلِ: (قَعَدُونِي) .

(٣) فِي الْأَصْلِ: (أَتَمَلَّى) .

يَا خَلِيلِي وَصَاحِبِي وَصَدِيقِي
 قُمْ إِلَى حَانَهَا بِهَا تَجِدُونِي
 قُمْ عَلَى بَابِهِ سَمِيرًا وَنَادِي
 يَا كَرَامًا بِفَضْلِهِمْ غَمْرُونِي
 أَوْقِفُونِي إِلَى الرُّضَا بِهَدَاهُمْ
 وَإِلَيْنِهِمْ بِهِمْ لَهُمْ أَرْشِدُونِي
 لَهُمُ الْفَضْلُ كَامِلًا يَا خَلِيلِي
 هُمْ كِرَامٌ بِفَضْلِهِمْ عَوْدُونِي
 سَلِّبُونِي عَنْ غَيْرِهِمْ وَرَمُونِي
 خَادِمًا عَابِدًا لَهُمْ وَدَّعُونِي
 إِنِّي قَدْ رَضِيتُ بِالنَّحْبِ فِيهِمْ
 عَبْدَ رِقٍ تَشْوَانِ مِمَّا سَفَّوْنِي
 كُلُّ عَبْدٍ غَدَا لَهُمْ وَمُرِيدُ فِي
 هَوَاهُمْ بِجُودِهِمْ يَتَّبِعُونِي
 مَنْ أَرَاهُ إِلَهُ يُشْبِعُ حُبِّي
 فِي طَرِيقِ الْهُدَى^(١) لَهُمْ رَسْمُونِي
 هِيَ طَرِيقُ التَّوْحِيدِ حَقًّا وَصِدْقًا
 لَا مَحِيدَ عَنْهَا بِهَا سَلَكُونِي
 جَذِبُونِي مِنِّي لَهُمْ وَإِلَيْنِهِمْ
 قَرَّبُونِي وَيَا صَفًّا جَبَلُونِي

(١) في الأصل: (الهدا).

أَوْ جَذَّبُونِي بِهِمْ لَيْسَ عَنِ رِقٍّ
وَعَلَى حُبِّهِمْ لَيْسَ نَظَرُونِي
مَقْصِدِي هُمْ وَالْقَصْدُ مِنْهُمْ رِضَاهُمْ
وَرِضَايَ وَمَا لَهُمْ يَدْعُونِي
عَنِ رِقٍّ لَا أَنْتَنِي عَنْ هَوَاهُمْ
وَهَوَاهُمْ فِي مُهْجَتِي يُعْطُونِي

قال الراوى:

فلما فرغ حسين من شعره صبروا عليه حتى أصبح الصباح ودخلوا إليه فوجدوا كل القطن مخلوجا، مندوفا^(١) القطن فى ناحية والحَبُّ فى ناحية، وكان فى المخزن قطن كثير فتعجب الناس فى ذلك غاية العجب.

فقالوا له يا حسين . . آنت صنعتك حلج حتى حلجت هذا كله فى ليلة واحدة؟

فلما سمع منهم هذا الكلام أنشد يقول هذا الكلام الحسن الظريف، رضى الله عنه، آمين:

أنا حسين الحلج	إيش تنكروا من حالى
أنا حلجت قطنى	بالذكر والقرآن ^(٢)
أنا عبيد ربي	صدقاً بلا محال
أنا قضيت عمري	فى خدمة الديان ^(٣)

(١) فى الأصل: «مخلوج . مندوف» = والمخلوج هو المندوف أنظر اللسان مادة حلج.

(٢) فى الأصل: «والقرآن».

(٣) فى الأصل: «الديان».

أنا أفَتى ^(١) فى قَتلى	سبعون طليسان ^(٢)
كلهم مـمـازير ^(٣)	ما شاهدوا المعانى
أنـاعـبـد ربى	فى ظلمة الليالى
فى حب ربى قـد	صـرت ثابت الجنان
أنا فـتـح لى الباب	بفضله دعانى
بفضله سَتَرْنى	وعَفَوِه غَطَّانى
يا الله يا أخـوانى	سلوه عسى يرضانى
إن كان ما يرضانى	جددت فيه أحزانى

قال الراوى يا سادة :

فلما فرغ حسين من شعره قالوا له :

قم معنا إلى عند شيخك الجنيد فإن رجعت عما أنت فيه ، وإلا قطعنا منك
الأوصال . فسار معهم حتى وصل إلى عند شيخه . فقال له شيخه وعانقه وبكى
بكاءً شديداً فانشد حسين يقول هذه الأبيات الآتى ذكرها كما ترى :

(١) فى الأصل : «فتى»

(٢) فى الأصل : «سبعين طليسان» والطليس والطيلسان : «ضرب من الأكية» .

قال فى لسان العرب أى أسود .

واستشهد بيت شعر للمرار بن سعيد الفقمسى يقول :

فرفعت رأسى للخيال فما أرى

غير المظن وظلمة كالطليس

ثم جاء الألف والنون .

وجمع الطليس ، والطليسان ، والطليسان طبايس وطبالسة . دخلت فيه الهاء للمجمة لأنه فارسى
مُعَرَّب .

(٣) مفردا «معذور» . وكأنما يبرر لهم فتواهم لجهلهم بعدم المشاهدة .

سَقُونِي وَقَالُوا لَا تُغْنِي وَلَوْ سَقُوا
 جِبَالُ حُنَيْنٍ لَوْ سَقَوْهَا لَغَنَّتِ^(١)
 جِبَالُ حُنَيْنٍ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ الْهَوَى
 وَلَوْ أَنَّهُمْ عَارَفُوا لَكَانَتْ عَنَّتِ^(٢)
 حَرِمْتُ الرِّضَا إِنْ كُنْتُ بَعْدَ حَدِيثِكُمْ
 سَمِعْتُ بِأَنِّي مَا حَلَا لِي فَصَمْتُ^(٣)
 وَإِنِّي لَا بَكَى الْعَيْنِ فِي ضِلٍّ مَنَزَلِي
 عَلَى طِيبِ أَوْقَاتٍ مَضَتْ وَتَوَلَّتِ^(٤)
 أَيَا سَادَتِي لَوْلَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 زَقَرْتُ فَأَخْرَقْتُ الْخِيَامَ بِزَقَرَتِي
 وَلَوْلَا أَخَافُ وَمَرْعَاةَ الْخِيَامِ وَ
 أَهْلَهَا قَطَعْتُ طَرِيقَ السَّالِكِينَ بِعَبْرَتِي
 وَسِجَّادَتِي زَهْرُ الرَّيِّعِ وَرَوْضَتِي
 وَسَبْعُ الْمَثَانِي وَالْمَثَانِي مِباحَتِي
 وَمَجْنُونٌ لَيْلَى مَاتَ فِي الْحُبِّ وَاحِدٌ
 وَلِي فِي هَوَاهَا فِي الدُّجَى أُمِّي وَجِدَّتِي

(١) في الأصل: «لغنتي» = والصحيح أن يقول «ما سَقَبْتُ لَغْنَتِي». وهذا لسان حال الحلاج.

(٢) في الأصل: «غنتي» (٣) في الأصل: «فصمتي»

(٤) في الأصل: «وتولتني».

فَيَا أَيُّهَا الْعَاصِي الَّذِي ضَاعَ عُمْرُهُ
وَقَرَّطَ فِي الْأَيَّامِ حَسْبِي تَوَلَّتْ^(١)
إِذَا كُنْتَ تَهْوِي الْقَوْمَ فَاهْجُرْ سِوَاهُمْ
وَبَادِرْ إِلَى بَابِ الْحَبِيبِ بِسُرْعَةٍ^(٢)
وَسَلِّ الرِّضَا وَالْعَفْوَ عَمَّا مَضَى
تَجِدَ رَحِيمًا غَافِرَ الذَّنْبِ وَالْخَطِيئَةِ^(٣)

قال الرواي يا سادة :

فلما فرغ حسين من شعره ، ناوله الشيخ منديله .

وقال له الشيخ :

خذ هذا المنديل يا حسين

فأخذه في الهواء حذفه .

وقال : يا منديل خذني معك .

فطار هو والمنديل ولم يبق^(٤) له أثر ، ولا خبر إلى مدة سنة كاملة^(٥) فبقت أهل
بغداد والناس متعجبين من هذا الأمر .

(٢) في الأصل : «سرعتي»

(٤) في الأصل : «لم يبق»

(١) في الأصل : «حتى تولت»

(٣) في الأصل : «غفار والخطيئة»

(٥) إلى أي مدى يرى الخيال الشعبي مثل هذه المخارج . وهي أيضا فكرة تتعلق بالكرامة في التراث
الصوفي فهل جاءت هذه الكرامة للتحدي؟

كثير من كبار المتصوفة يرفض القول بكرامة التحدي . والبعض الآخر يقرها حين تستدعيها الحالة التي
عليها الناس . ليعودوا الى الله بعد ضلالهم وغيبهم .
وبعض الناس يقول إن الكرامة تقع من الولي بقصد وبدون قصد . يجريها الله تعالى على أيديهم
بسيهم .

(انظر فيض المعلى ذى الجلال بإثبات كرامات الاوليات» مخطوط ٢٠٠٤١ جامعة القاهرة . في الحياة
وبعد الانتقال .

فقالت الناس: الحمد لله الذي راح عنا حسين، واسترحنا منه، وأكلته الوحوش في البرارى والجبال.

فبينما الناس فى هذا الكلام، وإذا الحسين الحلاج قد أقبل ودخل من باب بغداد وهو يقول:

«لا إله إلا الله ما يدوم إلا الله، يا قوم أذكروا الله، يا قوم وحّدوا الله، يا قوم قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ».

فلم تزل الناس خلفه وهم يكتبون ما يقوم حتى وصل إلى الشيخ الجنيد، رضى الله تعالى عنه. فلما نظر إلى شيخه بكى بكاءً شديداً وأنشد حسين يقول هذه الأبيات الآتى ذكرها؛ كما ترى:

قُلْ لَا لِأَخْوَانِي رَأَوْنى مَبِيتًا
فَبُكُّوا لى وَرَدُّوا لى حَزَنًا
أَتَظُنُّونَ بِأَنى مَبِيتٍ
لَيْسَ ذَاكَ الْمَبِيتُ وَاللهُ أَنَا
أَنَا فى صَبْرٍ وَهَذَا جَسَدِي
كَأَن يَبِيتِي وَقَمِيصِي زَمَنًا
أَنَا كَثْرُ وَجِبَابٍ مُّطْلَبُ
مِنْ تُرَابٍ قَدْ تَخَلَّى لِلْفَنَاءِ
أَنَادِرُ قَدْ حَوَاهُ صَدَفُ
كَأَن سِجْنُ قَالِفَتِ السَّجَنُ
أَنَا عُصْفُورٌ، وَهَذَا قَمِيصِي
طِرْتُ مِنْهُ وَتَرَكْنِيهِ رَهْنًا

أَحْمَدُ اللّٰهَ الَّذِي خَلَّصَنِي مِنْهُ
وَبَنَى لِي فِي الْمَعَالَى وَطَنًا
كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مَيِّتٌ بَيْنَكُمْ
فَحَيِّتُ^(١) إِنِّي خَلَعْتُ الْكَفَّنَا
وَأَنَا الْيَوْمَ أَتَاخِي مَسْلًا^(٢)
وَأَرَى اللّٰهَ جَهَارًا عَلَنًا^(٣)
عَاكِفٌ^(٤) فِي اللُّوحِ أَقْرَأُ وَأَرَى
كُلَّ مَا كَانَ وَيَأْتِي، وَدَنَا
يَا قَرِيبُ يَا مُجِيبُ أَهْدِنِي
مَنْ سِوَاكَ أَنْتَ كَرِيمٌ مُحْسِنًا
وَطِيعًا مَيِّ وَشَرَابِي وَأَحَدٌ
قَافَهُمُوهُ فَهُوَ^(٥) رَمَزٌ حَسَنًا
لَيْسَ قَمَرًا سَائِقًا أَوْ عَمَلًا
لَا^(٦)، وَلَا مَاءً، وَلَكِنْ لَبَنًا
قَافَهُمُوهُ السُّرْقَفِيهِ نَبَاً
مِنْ مَعَانٍ تَحْتَ لَفْظِ^(٧) كَمَنَا

(٢) فِي الْأَصْلِ: «مَلَأٌ»

(٤) فِي الْأَصْلِ: «عَاكِفًا»

(٦) فِي الْأَصْلِ: «لَا وَمَا وَلَا مَاءً»

(١) فِي الْأَصْلِ: «مَحْيَتٌ»

(٣) فِي الْأَصْلِ: «عَلَنًا»

(٥) فِي الْأَصْلِ: «فَهُوَ»

(٧) فِي الْأَصْلِ: «مِنْ مَعَانِي نَحْبُ لَفْظِ كَمَنَا»

فَاهْدُمُوا يَّتِيْ وَارْضُوا ثَقَّتِي (١)
 وَذَرُّوا الْكُلَّ يَقِيْنَا بِيْنَا
 قَدْ تَرَحَّلْتُ وَقَدْ خَلَفْتَكُمْ
 لَيْسَ أَرْضُ دَارِكُمْ لِي وَطَنًا
 لَا تَنْظُنُّوا الْمَوْتَ مَمُوتًا إِنَّهُ
 لَحَيَاةٌ فَهُوَ غَايَةُ الْمَنَى
 أَخْبَرْتَنَا الدَّارُ يَوْمًا عَنْهُمْ
 فَإِذَا مَامَتْ طَارَ الْوَقْتُ (٢)
 لَتَكُنْ فِي هَجْمَةِ الْمَوْتِ فَرْعٌ
 إِنَّمَا هِيَ انْتِقَالٌ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا
 وَخُذْ فِي الزَّادِ حِمْلًا وَانْقَا
 لَيْسَ بِالْعَمَلِ قِلٌّ مِنَّا مَنْ وَتَى
 وَأَخْبَسَ الظَّنَّ بِرَبِّ رَاحِمٍ
 يَشْكُرُ السُّفْهَى وَتَأْتُوا أَمَّا
 مَا أَرَى نَفْسِي إِلَّا أَنْتُمْ
 وَأَعْبَيْتُ قَادِي أَنْتُمْ أَنَا (٣)

(١) في الأصل: «غير واضحة» ولكنها رسمت هكذا «ورضوا ثقتي»

(٢) المقصود به هنا «الجسد» أي هيكله الجسماني. أي طيرت الجسد بالنعش كما يحدث في كثير من الحالات.

(٣) تصرح الأبيات التالية بفكرة وحدة الوجود. وانظر إلى هذا البيت الذي يُنسب أيضًا للحلاج وهو لابن عربي (محمد بن علي الحاملي المتوفى ٦٣٨ هـ) يقول:

عَقَّدَ الْخَلَائِقُ فِي الْإِلَهِ عَقَائِدًا
 وَأَنَا اعْتَقَدْتُ جَمِيعَ مَا عَقَدُوهُ

انظر الديوان المقطوعة (٢٢) ص ١٠٩.

عَصَرَ الْأَمْنَاءَ مِنَّا وَاحِدًا
وَكَذَا الْجِسْمَ جَمِيعًا مَعَنَا
فَمَتَى كَأَنَّ خَيْرًا قُلْنَا
وَمَتَى كَأَنَّ شَرًّا قُلْنَا
أَسْأَلُ اللَّهَ لِنَفْسِي رَاحَةً
رَحِمَ اللَّهُ صَدِيقًا كَأَنَّ أَمِنَا
وَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ دَائِمًا
بِسَلَامٍ مِنْ مُحِبٍّ خَالِصٍ وَثَنًا (١)

قال الراوى يا سادة :

فلما فرغ حسين بن الحلاج من شعره وسمع منه شيخه هذا الشعر . دهش عقله ، وطار لبه وقال له شيخه :

يا ولدى يا حسين أنت وصلت لهذا المقام والمنزلة .

فقال له : نعم ببركة الله ورسوله (ﷺ) ، وبركتك يا شيخى .

وقام وسار وهو يشطح ويتكلم زايد وناقص . فأتى أهل بغداد إلى الشيخ . وقالوا له :

يا شيخ قد أتعبنا مريرك حسين ، وقد شغلنا عن بيعنا وشرانا .

فقال لهم الشيخ : أمسكوه واحبسوه إلى غد حتى

ننظر ما يكون من أمره . إما أن يرجع عما هو فيه ، وإما أن يتفد حكم الله فيه .

فقالوا له : يا شيخ نحن ما نقدر نمسكه .

(١) المقصود هنا . بسلام وثناء من محب خالص فى الحب .

والا فسر البعض وثنا : بالوثن . إنما هى «ثناء»

فقال لهم: ولمَ ذلك.

فقالوا يا شيخ: هذا ساعة يمشى، وساعة يطير فى الهواء.

فقال لهم الشيخ: قولوا له؛ يقول لك شيخك أدخل فى هذا المكان. فإنه يدخل^(١).

فجاءوا إليه، وأخذوه، وأتوا به إلى باب السجن.

وقالوا له: يا حسين. شيخك يقول لك أدخل إلى هذا السجن.

فلما سمع بذكر شيخه. قام ودخل إلى السجن^(٢). فقفلوا عليه الأبواب وساروا، وخلّوه. فلما دخل إلى داخل السجن رأى فيه خلق كثير. فلما رآهم قال:

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد.

يحيى ويميت، وهو على كل شيء قدير.

معاشر المحاييس. ما حبسكم إلا ذنوبكم، وغفلة قلوبكم وقدر سفلكم، ورغبتكم فى هذه الدنيا الدنية عن سيدكم ومحبوبكم. فلو رجعتم بقلوبكم إليه. لبيتم بعيونكم عليه كان جعل لكم من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً. ولكن إسمعوا منى ما أقول إن كان لكم عقول^(٣). وإلا. فُعادكم فى هذا السجن يطول.

فعند ذلك قامت المحاييس، وجلسوا حوله. فقال وبكى بكاءً شديداً. وأنشد يقول هذا الشعر المبارك حلّو المعانى. الآتى ذكره كما ترى:

أَذِرِ الْكَاسَاتِ فِي جُنْحِ الظُّلَامِ

وَأَسْقِنِي مَنَ خُمْرَةِ تَشْفِي السَّقَامَ^(٤)

(١) ضمان الاستجابة للأمر، وعدم المخالفة. (٢) تنفيذ الأمر دون مخالفة.

(٣) فى الأصل: «معقول». (٤) فى الأصل: «القامى».

خَمْرَةٌ فِي دَنِّهَا قَدْ عُنَّتْ
 قَدْ سَقِيَهَا كُلَّ صَبٍّ مُسْتَهَامِ
 خَمْرَةُ الْمُصْطَفَى خَيْرُ الْوَرَى
 قَدْ صُفَّتِ وَالْأَوَّلِيَا فِيهَا هَيَامِ
 فَسَقِيَهَا سَيِّدِي أَبُو الْوَقَا^(١)
 فَبَقِيَ مَنْ سَكَّرَهُ فِيهَا إِمَامِ
 وَسَقِيَهَا الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ^(٢)
 فَارْقَى مِنْهَا أَعْلَى مَقَامِ

(١) سيدي أبو الوفا:

هو الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء رضى الله عنه . كان من أعيان مشايخ العراق فى وقته . له الكرامات الظاهرة وانتهت إليه رئاسة هذا الشأن فى زمانه ، وكان الشيخ عبدالقادر الجيلانى يقول عنه « ليس على باب الحق تعالى كرى مثله » .

وهو أول من سمى بتاج العارفين بالعراق . ومن كلامه : « من هيمه أثر النظر ألقه سماع الخبر ، ومن انقطع فى مفاوز الاشواق لم يلتفت إلى الآفاق » .

وكان يقول : « الذكر ماغيك عنك بوجوده ، وأخذك منك بشهوده » . فإن الذكر شهود الحقيقة وخمود الخليفة ومن أقواله أيضاً : « الأجسام أقلام ، والأرواح ألواح ، والنفوس كؤوس ، والوجد حسرة تلهب ثم تسلب ، والقوة محادثة السر عند اصطلام العبد يشاهد الحضور واستغراق القلب فى بحر المشاهدة لغلبة المشهود » .

انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ١١٦ .

(٢) الشيخ عبدالقادر :

هو أبو صالح عبدالقادر الجيللى أو الجيلانى وهو ابن موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعا ولد سنة ٤٧٠ هـ وتوفى سنة ٥٦١ هـ ودفن ببغداد كان لأمه قدم فى الطريق . وأثر عنها أنها قالت : لما وضعت ولدى عبدالقادر كان لا يرضع ثديه فى نهار رمضان ولقد غم الناس هلال رمضان فأتونى وسألونى عنه فقلت لهم إنه لم يلتم اليوم له ثديا ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان .

وَكَذَٰكَ ابْنُ الرَّقَّاعِ أَحْمَدُ^(١)
 مُذْ سَقِيَهَا هَامَ فِيهَا كَالْهَمَامِ
 وَرَجَا لَ اللَّهِ مِنْهَا قَدْ سَقُوا
 شَرِبَةً هَامُوا وَقَامُوا فِي الظَّلَامِ
 فَهُمْ السَّادَةُ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى
 هَجَرُوا فِي حُبِّهِ طَيْبَ الْمَنَامِ
 يَا رَجَا لَ اللَّهِ هَذَا حُبُّكُمْ
 قَدْ أَنَاكُمْ كُلُّكُمْ قَوْمُوا قِيَامِي

= وكان يقول: إنه لترد على الانتقال الكثيرة لو وضعت على الجبال انفسخت فإذا كثرت على الانتقال وضعت جنبى على الأرض وتلوت فإن مع العُزِّ يرا إن مع العسر يرا ثم أرفع رأسى وقد انفرجت عنى تلك الانتقال.

وأثر عن أهل الطريق أنهم قالوا: كانت قوة الشيخ عبد القادر فى طريقه إلى ربه كقوى جميع أهل الطريق شدة ولزوما وكانت طريقته التوحيد وصفاء الحكمة.
 انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ١٠٨ - ١١٥.

(١) الشيخ أحمد الرفاعى:

هو الشيخ «أحمد بن أبى الحين الرفاعى» منسوب إلى بنى رفاعه قبيلة من العرب، وسكن أم عبيدة بأرض البطائع إلى أن مات بها. وكانت الرئاسة قد انتهت إليه فى طريق القوم وعلومه، وشرح أحواله وكشف مشكلاته. وعُرف بتربية المريدين، وتلمذ على يديه خلق كثير، وهو أحد من ملك أسرارہ، وله كلام عال على لسان الحقائق.

وكان رضى الله عنه يقول: «الكشف قوة جاذبة بخاصيتها نور عين البصيرة إلى فيض الغيب فيتصل نورها به اتصال الشعاع بالزجاجة الصافية حال مقابلتها المنبع إلى فيضه. ثم يتقاذف نوره منعكاً بضوئه على صفاء القلب. ثم يترقى ساطعاً إلى عالم العقل فيتصل به اتصالاً معنوياً له أثر فى استفادة نور العقل على ساحة القلب فيشرق نور العقل على إنسان عين السر فيرى ما خفى عن الأبصار موضعه ودق عن الأفهام تصوره واستر عن الأغيار مرآه.

والكلام عنه كثير. توفى رحمه الله يوم الخميس وقت الظهر ثانى عشر جمادى الأولى سنة ٥٧٠هـ ودفن فى قبر الشيخ يحيى البخارى.

انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ج ١ ص ١٢١ - ١٢٥.

واشربُوا مِنْ صَرْفِ صَافِي حُبِّهِ
 شَرِبَةٌ يَصْفُقُو لَكُمْ هَذَا الْمَقَامَ
 فَتَرَاهُ قَدْ تَجَلَّى مُنْعِمًا
 ثُمَّ حَيَّانًا بِفَضْلِ وَسَلَامٍ
 فَنَظَرْنَا سَيِّدًا مَا مِثْلِهِ
 كَأَمَلٍ هُوَ ذَاتِ وَصْفٍ فِي الْأَنَامِ
 فَسَقَانَا شَرِبَةً فِي حَضْرَةِ
 مُذْ تَجَلَّى فِي لَيْلَاتِ الصَّيَامِ
 هَذِهِ خَمْرُنَا يَا فُقَرَاءَ
 مِنْ خُمُورِ الْمُصْطَفَى بِذَرِ الثَّمَامِ
 هُوَ مُحَمَّدٌ سَيِّدٌ هُوَ سَنَدٌ
 إِسْأَلُوهُ يَشْفَعُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامِ

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره قام، وأذن العشاء وصلى بالمحاييس العشاء الآخرة.
 وجلس يذكر الله تعالى وهم يذكرون معه. إذ أصبح الله تعالى بالصباح. فقام
 وصلى بهم صلاة الصبح. فلما فرغ من صلاته قام وخط فى أرض السجن
 خطاً^(١)، وعمل فيه صفات مركب، وقام وجلس فى وسطه. وقال لهم: يا فقراء
 من أراد منكم أن يطلب النجاة لنفسه ولخلائته. فليقم يجلس معى فى هذا المركب.
 فإنه مركب النجاة. فعند ذلك قامت المحاييس. وجلسوا معه فى وسط المركب.
 فقام وقال لهم: يا فقراء حركوا مركبكم بذكر الله تعالى. واذكروه بالصدق
 والمحبة. وقولوا كلكم معى عدلاً مخلصاً:

(١) فى الأصل: «وخط فى الأرض السجن خط».

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»

فلَمَّا رفعوا أصواتهم بذكر الله تعالى، وإذا بذلك الخط قد تحرك، وصار مركبا عظيما. وقد صار في وسط البحر فقال لهم:

«يا قوم داوموا على ذكر الله تعالى»

فقام وفَزَّ من المركب، وصار واقفا على وجه الماء، وصار يجرى المركب خلفه حتى أوصله إلى البر. فعند ذلك نزلهم من المركب، وقال لهم:

سيروا إلى حال سبيلكم.

فراح كل واحد إلى حال سبيله. وقام حسين وتمشى ودخل من باب بغداد. وهو يقول:

«يا قوم ظننتم أنكم فرقتم بيني وبين حبيبي، وزعمتم أنه قد فاتني منه نصيبي، أما علمتم أنه معي في حضرتي ومغيبي. إن غبت فهو حبيبي، وإن حضرت فهو قريبي، وإن دعوته فهو مجيبي، وإن مرضت فهو طيبي».

وبكى بكاء شديداً، وأنشد يقول هذا الشعر:

تَجَلَّى لِي الْمَحْبُوبُ فِي الْقَلْبِ أَخْلَاةٌ

عَنِ الْغَيْرِ حَتَّى صَارَ قَلْبِي مَثْوَاهُ

وَقَرَّبَنِي سَرَّاءً، وَالْقَلْبُ قَدْ هَدَاهُ

وَأَوَّلًا فِي التَّوْفِيقِ مَوْلَى هُوَ اللَّهُ

وَفَكَ خِتَامًا^(١) عَنْ دَنَانٍ^(٢) مُدَامُهَا

نُجُومٌ، وَأَقْمَارٌ، وَشَمْسٌ، وَحَبَاةٌ

وَنَآوَلَنِي كَأَسَاكَانَ شُعَاعُهُ

كَبَرْقٍ، وَلَا بَرْقَ بِحَالِي مَحْيَاةٌ

(١) في الاصل: «ختام»

(٢) في الاصل: «دنانى»

سَقَانِي مَنْ أَهْوَى كَاسَاتِ حُبِّهِ
 شَرَابًا قَدِيمًا فَذُقْنَا جَلَّ مَعْنَاهُ
 فَاسْكُرْنِي ذَاكَ الْمُدَامُ فَلَدَّ لِي
 خَطَابُ الذِّي أَهْوَى بِقَوْلِي: يَا
 وَشَاهَدْتُ مَنْ أَهْوَى فِي حَالِ سُكْرَتِي
 فَمَحْوَى إِيْتَابِي وَصَحْوِي^(١) مَعْنَاهُ
 فَغِبْتُ عَنِ الْأَكْوَانِ شَفْلًا بِحُبِّهِ
 وَمَنْ كَانَ ذُو صَدْقٍ يَفُوزُ بِلَقَائِهِ

(١) الإثبات ضد المحو.

والإثبات: عند الصوفية يعنى به إقامة أحكام العبادة برفع أوصاف العادة. وله أسماء كثيرة مثل: إثبات المعاملات، وإثبات الموصلات، وإثبات الخصوص، وإثبات الحقيقة، وإثبات خلاصة أهل الخصوص. ونحت كل معنى من هذه المعاني شرح كثير. انظر فى «لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام» طبعة دار الكتب المصرية بتحقيقنا ١٩٩٦م. أما المحو: فهو رفع أوصاف العادة وهو يقابل إقامة أحكام العادة كما قلنا فى الإثبات. وله أيضا أسماء وأوصاف كثيرة جداً. كل منها يدخل عنوانا مثل: محو أرباب الظواهر، محو أرباب السرائر، محو الجمع، المحو الحقيقى، محو العبودية، محو وجود عين العبد، محو أهل الخصوص، محو التثنت، محو المحو، إلى غير ذلك «انظره فى لطائف الإعلام. أيضا».

• أما الصحو فهو ضد السكر. وله أيضا تفسير هام عند جماعة الصوفية. فالصحو عندهم: هو رجوع إلى الإحساس بعد غيبة حصلت عن وارد قوى. وهو نوعان: صحو الجمع، وصحو المفق. فصحو الجمع هو: يقال عنه مقام صحو الجمع. ويعنى به الإفاقة من سكر التفرقة والغيرية بالتحقيق بأحدية الجمع التى تنفى الاغيار والمغايرة. والمتحقق بهذا المقام هو صاحب مقام الاتحاد. وقد يعبر بصحو الجمع عن الفرق الثانى وهو المسمى بجمع الجمع بأحد معانيه وهو شهود الوحدة فى الكثرة.

أما صحو المفق: أو مقام صحو المفق. والمفق من بلغ إلى أعلى المقامات، الذى هو مقام «أو أدنى».

فَكَمْ مِنْ رِجَالٍ شَاهَدُوهُ فَأَصْبَحُوا
هَيَّامًا سَكَارَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَهْوَاهُ

قال الراوى يا سادة :

فلما فرغ حسين من شعره . وإذا بالمؤذن قد قال :

الله أكبر . . الله أكبر .

فقال له حسين : تكذب (١)

فلما سمعوه «الناس» أنه قد كَذَّبَ المؤذن . قاموا إليه ، ومسكوه ، وقدهموا بقتله .
وقالوا له :

إيش هذا الكلام ، الذى قلته . تكذب . ولا يكذب المؤذن إلا من كفر . وحلّ
هرق (٢) دمه فى الأربع مذاهب (٣) .

فقال لهم : أنا ما كذبت فى المقال . ما كذبت إلا فى الكلام (٤) فلو قال الله أكبر
بصدق الإشارة ما حملته هذه المنارة . ولتفتت من تحت أقدامه الحجارة .

= والكر هو : غيبة بوارد قوى ، والمراد بالغيبة : عدم الإحساس . فمن غاب بوارد قوى سمي
سكرانا وذلك أن العبد إذا كوشف بنعت انجمال حصل له السكر وطرب الروح . وهام القلب .
فإذا عاد من سكره سمي صاحبيا .

«أنظر لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام بتحقيقنا» طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦ م .

(١) هنا تصاعد الأمر مع السامة تصاعدا لا بد معه . يتخذ موقف حاسم مع الحلاج . ونمهد الآراء
لإقامة الفتاوى ضده . وتكمل الإدانة . على هذا العصر بأكمله .

(٢) أى إزاحة دمه . -

(٣) المذاهب الأربعة :

مذهب الإمام مالك ، ومذهب الإمام الشافعى ، ومذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ومذهب الإمام
أبو حنيفة النعمان .

وكان هناك عدد كبير من المذاهب لم يبق منها إلا الأربعة لكثرة متبعيها . وانتشارها .

(٤) المقصود أنه ما كذبه فى المقال ولكن كذبه فى الحال والقصة فيما بعد تؤكد ذلك . وأظن العلاقة
مفهومة ما بين الحال والمقال .

لكن أن تكون بين المقال والكلام !!

هكذا كانت دائما أخطاء النساخ .

وأقول مرة أخرى . إن حال المؤذن لم يكن على مستوى قوله . وهو يقول : الله أكبر . هذا ما
قصد به الحلاج بالضبط خلال هذه القصة . مما دفعت لقتله .

وانتشر^(١) منهم وهرب. فلحقوه فهرب. ودخل مدرسة فقفلوا عليه أبوابها. ومضوا إلى الخليفة، وأعلموه بذلك. وقالوا له:

إعلم يا خليفة الله في أرضه. أن حسين الحلاج قد كان غائبا وجاء. فقال المؤذن: الله أكبر. فقال له حسين: تكذب. وما يكذب المؤذن إلا من كفر وحل هرق دمه.

فقال لهم الخليفة: أين هو؟ أمسكوه.

فقالوا له: حبسناه في المدرسة. ويكون تحت علمك الشريف.

فلما سمع الخليفة هذا الكلام. قام من وقته وساعته وهو ممتزج بالغضب. وسار هو وإياهم. ولم يزالوا سائرين والخليفة معهم إلى أن وصلوا إلى المدرسة فوجدوا «حسين» قد خرج منها. وقد كبراً حتى ما بقى يسعه مكان. فما استجراً أحد أن يتقدم إليه من خوفهم منه، ومن الهيبة التي عليه. فتركوه، وساروا وخلوه. فلما أصبح الله بالصباح إجوا إليه فوجدوه وهو يبكي بكاءً شديداً. فلما رآهم أنشد يقول:

خُذِ الْقَنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا
وَاخُذِ لِبَدْنِكَ مِنْهَا رَاحَةَ الْبَدَنِ
وَقُلْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
هَلْ رَاحَ مِنْهَا سِوَى بِالْقُطْنِ وَالْكَفَنِ

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره سار وتركهم، ولم يقدروا عليه، وغاب عنهم مدة ثلاثة أيام. فجاء ودخل من باب بغداد. فوجدوه على صورته الأولى. فقاموا إليه ومسكوه وكشفوه. فلما رأى روحه قدأم الخليفة، وهو مكشوف الرأس، مكتف. برك وباس الأرض. وسلم على أمير المؤمنين. وبكى بكاءً شديداً وأنشد يقول:

(١) لا أدري معنى «فانتشر» لعله أيضاً خطأ ناسخ والمقصود أنه انتصر. بمعنى أكد هروبه مرتين. كما هرب متصراً من قبل بفكرة التديل حينما طار به، والسفينة التي هرب بها من الجن. إلخ. وربما كان المعنى (تسلل) ما دام في الأمر «هروب».

الخمر دنى، وذنُّ الخمر ربحاني
 وَمَجْلِسُ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحُ قُرْآنِي
 مَا يَشْرَبُ الخمرَ إِلَّا مَنْ يَكُنْ بَطْلاً^(١)
 يُطْلَقُ النَّوْمَ لَمْ تَغْمُضْ لَهُ أَجْفَانُ
 وَيَتْرُكُ النَّوْمَ لَمْ يَعْرِفْ حَلَاوَتَهُ
 جَفْنَا لِحَفْنِ الكَرَى حَتَّى بَقِيَ قَانِي
 ابْنُ الرِّقَاعِي^(٢) رَفَعَ قَدْرَهُ بِهَا وَعَمَلَا
 وَإِنْ أَدْهَمَ^(٣) سَابَ مُلْكُهُ الْقَانِي
 أَمَّا الْجُنَيْدُ^(٤) تَجَرَّدَ فَبَقِيَ بَطْلاً
 وَإِنْ بَرَكَاتٍ^(٥) صَارَ الْكُلُّ إِخْوَانِي

(١) سبقت الإشارة إليه .

(١) في الاصل : «بطل» .

(٣) ابن أدهم : هو أبو إسحق إبراهيم بن أدهم بن منصور كان من كورة بلخ من أولاد الملوك . كان فريداً في طريقه ، كبير معاصريه ، ومن مريدي الخضر ، عليه السلام ، قابل عدداً كبيراً من رجال الصوفية واتصل بالإمام أبي حنيفة ومنه تعلم العلم . كان في صدر حياته أميراً على بلخ ، وذهب ذات يوم للصيد ، وجرى وحده يقتفى أثر غزال . فجعل الله الغزال يخاطبه بلسان فصيح ، وفي رواية فجاءه صوت يقول له : «ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت فتأب وترك كل شيء» . ودخل طريق التصوف واتصل بالفضيل بن عياض وسفيان الثوري . ولم يأكل بعد توبته طعاماً إلا من كسب يده . وله أقوال كثيرة في التصوف .

منها : صحبة الله هي الإخلاص في اتباع أوامره . وينبغي الإخلاص في العبادة من صفاء المحبة . ويتنج الصفاء في محبة الله من بغض انفسه للرغبة والشهوة . فمن ارتبط بشهوته ابتعد عن الله . ومن ابتعد عن شهوته اقترب من الله .

انظر (كشف المحجوب ص ١٢٩ . وانظر الطبقات الكبرى ج ١ ص ٥٩ .

(٤) سبقت الإشارة إليه .

(٥) (ابن بركات) :

هو الشيخ بركات الخياط الذي توفي سنة ٩٢٣ هـ وهو نفس العام الذي دخل فيه ابن عثمان مصر . كان من الملامية وهو شيخ أفضل الدين ، وكذلك شيخ الشيخ رمضان الصانغ الذي بنى له الزاوية .

لَمَّا تَجَلَّتْ عَلَى الْحَلَّاجِ هَامٌ بِهَا
 أَفْتُرُوا عَلَيْهِ وَهُمْ سَبْعُونَ دِيَّانٍ
 وَقَالُوا: قَدْ كَفَّرَ وَطَفَى
 حَاشَاءُ مِنَ الْكُفْرِ بَلْ، كَانَ رَبَّانِي
 مَنْ خَاصَ بَحْرُ الْهَوَى يُخْرِجُ جَوَاهِرَهُ
 وَإِلَّا يَنَادُوا عَلَيْهِ الْأَبْطَالُ كَسْلَانِ
 أَنَا الْهَزْبِيُّ(*) أَنَا الْحَلَّاجُ يَا فُقَرَا
 فَتَتَّ سَنَوَاتِهِمْ مِنْ عِظَمِ سُلْطَانِي
 أَنَا الَّذِي قُلْتُ لَا تُؤْذَنُ فَمَا حَضَرَتْ
 شَاهَدَتْ دِيكَ إِلَهَ الْعَرْشِ بِأَعْيَانِي
 وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَالْأَيْمَانُ يَلْزُمُنِي
 لَوْلَا يَقُولُوا دُعَا الْحَلَّاجِ بُرْهَانِ
 لِأَصِيحُ فِيهِمْ كَمَا صَاحَ الْفَتَى الْبَدَوِيُّ(١)
 وَأَخْرَبَ لِبَفْدَادٍ مَا خَلَى لَهَا أَرْكَانِ

= كان رضى الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصارى كان الناس يلومونه على ذلك.

وقال الشيخ أفضل الدين عنه: بينما نحن يوماً خارج باب زويلة بالقرب من بيت الوالى وإذا هو بشخص تاجر مغربى راكب بغلة فمسكه الشيخ، رضى الله عنه، وقال: هذا سرق بيتى فدخلوا به بيت الوالى. فقالوا: للوالى يا سيدى اضربه، وإن مات زنا أذن دينه. فلما فرغ الوالى من عقابه نظر إلى وجه التاجر وقال للوالى. أنا غلطت ما هذا الذى أخذ حواتجى وسرق بيتى. فضرب الوالى الشيخ بعصاه فخرج ورقد على بابه وقال: والله يا زربون ما أفارق هذه العتبة حتى أعزلك. فقام فجاء القاصد بعزله. وتحكى عنه حكايات غريبة جداً.

انظر ذلك فى (الطبقات الكبرى للشعرانى ج ٢ ص ١٣٠).

(*) (اسم من أسماء الأسد).

(١) لعله (السيد أحمد البدوى) ولهذا التحليل من وجهة نظرى سبيان:

لكن سَمِعْتُ رَجَالَ اللَّهِ قَدْ نَطَقُوا

فَمَتُّ شَهِيداً كَمَا مَاتَ ابْنُ عَفَّانٍ^(١)

= أولهما: أن هذه السير كانت تقال أول ما تقال على جمهور الموالد بطنطا في الاحتفالات الدينية مثل مولد (السيد أحمد البدوي) بطنطا وكان لا بد على المغنى أن يدخل اسمه .
الثاني: أنه من أقطاب الصوفية المعروفين فكيف لا يكره كناية وسط هذا المديح والاحتفاء بأسماء الشيوخ الذين مر ذكرهم .

وسأذكر في ترجمته ما يؤكد ذلك . وأنه من الغتيان الذين أثبتوا قوة ومدى في الطريق .
■ وهو السيد الحبيب النسيب أبو العباس سيدي أحمد البدوي وشهرته تغنى عنه . كان مولده بمدينة فاس بالمغرب لأن أجداده انتقلوا أيام الحجاج إليها حين كثر القتل في الشرفاء فلما بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلاً يقول له في منامه: يا علي انتقل من هذه البلاد إلى مكة المشرفة . فإن لنا في ذلك شأنًا . وكان ذلك سنة ٦٠٣ هـ .

قال الشريف حسن أخو سيدي أحمد البدوي . فما زلنا ننزل على عرب ونرحل عن عرب فيتلقونا بالترحيب والإكرام حتى وصلنا إلى مكة في أربع سنين فتلقانا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا ومكثنا عندهم حتى توفي والدنا سنة ٦٢٧ هـ فاقمت أنا وإخوتي وكان أحمد أصغرنا سنًا وأشجعنا قلبًا وكان من كثرة ما يتكلم لقبناه بالبدوي . فافتراته القرآن مع ولدي الحسين، ولم يكن في فرسان مكة أشجع منه . فلما أحدث عليه حادث الوله ، (والوله: مصطلح صوفي) . تغيرت أحواله واعتزل الناس ولازم الصمت فكان لا يكلم الناس إلا بالإشارة . ثم رأى في شوال سنة ٦٣٣ هـ قائلاً يقول له في منامه قم واطلب مطلع الشمس . فلإذا وصلت إلى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس وسر إلى ضنّدتا (طنطا حالياً) فإن بها مقامك أيها الفتى فقام من منامه وشاور أهله وسافر إلى العراق وتلقاه أسيادها منهم سيدي عبد القادر وسيدي أحمد الرفاعي فقالا: يا أحمد مفاتيح العراق، والهند، واليمن، والروم والمشرق والمغرب بأيدينا فاحتر أي مفتاح شئت فقال لهما: لا شأن لي بمفتاحيكما . ما اخذ المفتاح إلا من الفتح . فلما فرغ من زيارة أضرحة أهل العراق من الأولياء . ثم ذهب إلى طنطا حسب الأمر الوارد له . وهناك قصة طويلة يذكرها الشعرا في كتابه (الطبقات الكبرى انظر ج ١ ص ١٥٨ - ١٦٣) .

(١) ابن عفان: هو: عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين . وهو: عبد الله، وقيل أبو عمر، وقيل في تكنيته بأبي عبد الله إن رقية بنت رسول الله (ﷺ) ولدت له ابناً فسماه عبد الله فاكتنى به ومات . ثم وُلِدَ له عمرو فاكتنى به إلى أن مات .

وقيل: إنه كان يكنى أبا ليلي عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن شمس بن عبد مناف . ويجتمع مع نسب رسول الله (ﷺ) في عبد مناف . ولقب بذي النورين لأنه تزوج ابنتي رسول الله (ﷺ)، [رقية وأم كلثوم] .

ولد عثمان في السنة السادسة بعد عام النخيل . وله فضائل ومآثر في الإسلام مشهورة يضيق عنها المكان هنا . وعن مقتله رضوان الله عليه يقول صاحب نهاية الأرب . قال: فاقنحموا على عثمان=

مَنْ بَاَعَ بِالسُّرُكَّانِ الْقَتْلُ سَيَمُتُهُ
 بَيْنَ الرَّجَالِ وَلَا يُؤْخَذُ لَهُ ثَانِ
 مَنْ بَاَعَ دُرًّا إِلَى الْفَحَّامِ ضَيَّعَهُ
 الدَّرُّ يَنْبَاعُ بِالْقِسْطَاسِ يَا اخُوَانِي
 أَنَا مَعْصَبٌ وَسَبَقُ الشَّرْعُ يَلْزُمُنِي
 سَبْعِينَ ضَرْبَةً بِإِذْنِ اللَّهِ مَا دَانِي
 وَالْخَضِرُ (١) الْأَخْضَرُ مُؤَدَّبٌ لَا يُكَلِّمُنِي
 وَالْأَرْبَعِينَ (٢) يَقُولُوا هَكَذَا كَإِنْ

= داره من دار عمرو بن حزم حتى ملأوها، ولم يشعر من بالباب منهم. ولما صاروا في الدار ندبوا رجلاً ليقنله فدخل عليه فقال: اخلمها وتركك قال: لست خالماً قميصاً كانيه الله تعالى حتى يكرم الله أهل السعادة، ويهين أهل الشقاوة فخرج عنه فادخلوا عليه رجلاً من بني ليث فقال لست بصاحبى لأن النبى (ﷺ) دعا لك أن تحفظ ولن تضيع فرجع عنه وفارق القوم. ودخل عليه رجل من قريش فقال له: أن النبى (ﷺ) دعا لك أن تحفظ ولن تضيع فرجع عنه وفارق القوم. ودخل عليه رجل من قريش فقال له: إن النبى (ﷺ) استغفر لك يوم كذا وكذا فلن تغارف دماً حراماً، فرجع وفارق أصحابه ودخل عليه جماعة كلهم يرجع، آخرهم محمد بن أبى بكر فلما خرج ثار قتيبة وسودان بن حمران والغافقى فضربه الغافقى بحديدة، وضرب المصحف برجله فدار المصحف واستقر بين يديه. وجاء سودان ليضربه فأكبت عليه نائلة بنت الفرافصة، واتقت السيف بيدهما فقطع أصابعها وشيئاً من الكف ونصف الإبهام فولت فغمز أوراكاها وقال: إنها لكبيرة العجز وضرب عثمان فقتله. وقيل: إن الذي قتله كنانة بن بشر النجيبى. وكان عثمان قد رأى النبى (ﷺ) في تلك الليلة وقال له: إنك تفطر الليلة عندنا [انظر ج ١٩ من نهاية الأرب ص ٤٨٥ وما بعدها].

(١) الخضر: عند جماعة الصوفية كناية عن البط كما يكون «إلياس» كناية عن القبض.
 وأما كون الخضر (عليه السلام) شخصاً إنسانياً باقياً من زمان موسى (عليه السلام) إلى هذا العهد أو روحانياً يتمثل بصورته فغير محقق عندى (الكلام هنا للقاشانى) بل قد يتمثل معناه له بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل، وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس.
 (انظر اصطلاحات الصوفية ص ٩٦) والحقيقة أن الخضر باقى حتى كما قال الشيخ الإمام المرسى أبو العباس وسيدى أحمد التجانى.
 انظر: لطائف المنن لابن عطاء الله الكندرى.
 وجواهر المعانى سيدى على حرازم برادة.

(٢) الأربعون هم النجباء. القائمون بإصلاح أمور الناس، وحمل أثقالهم، المتصرفون في حقوق الخلق ولا غير.

لَمَّا أَتَى الْقُطْبُ^(١) وَالْأَبْدَالَ^(٢) قَاطِبَةً
ثَلَاثِمِائَةَ^(٣) وَهُمْ يَتَلَوْنَ قُرْآنَ
وَهَذِهِ قِصَّةُ الْحَلَّاجِ قَدْ خَيَّمَتْ^(٤)
فَيَا أَسْفَى عَلَى ذَاكَ الرُّوحِ رَيِّحَانِ^(٥)
مَنْ بَعْدَ صَلَاةِ اللَّهِ عَلَى النَّبِيِّ الْهَادِي
أَفْضَلَ مُرْسَلٍ مِنْ بَنِي عَدْنَانٍ
وَالْأَلَّ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ
مَنْ بِهِمْ أَرْجُو النِّجَاةَ مِنَ النَّيِّرَانِ

-
- (١) القطب: هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وهو علي قلب إسرائيل (عليه السلام).
- (٢) الأبدال أو البدلاء: هم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك فيه جسداً علي صورته بحيث لا يعرف أحداً أنه فقد وذلك معنى البدل.
- وهم علي قلب إبراهيم (عليه السلام).
- (انظر اصطلاحات الصوفية، ولطائف الإعلام للقاشاني).
- (٣) الثلثمائة: هم النقباء الذين تحققوا بالاسم الباطن، فأشرفوا علي بواطن الناس (الأشراف مطلع). واستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف التأثير لهم عن وجود الشرائع.
- (انظر معجم (لطائف الإعلام - طبعة دار الكتب المصرية ١٩٩٦م - اصطلاحات الصوفية للقاشاني).
- (٤) المقصود أنها انتهت بالقتل أو هكذا يراها.
- (٥) في الاصل: (الريحاني).

قال الراوى يا سادة :

فلما فرغ حسين من شعره قال له الخليفة: يا حسين كل شىء سامحتك فيه إلا تكذيب المؤذن فمن فعل ذلك فقد حلّ حرقه، فما تقول فى هذا الأمر؟ فقال له حسين: يا خليفة الله فى أرضه، المحبة أولها حرق، وأوسطها غرق، وآخرها قتل.

فلما سمع الخليفة منه هذا الكلام قال له: يا حسين إن كنت مجنوناً^(١) اعقل، وإن كنت سكران أفق، فإنه قد قرب أجلك، وقتلك، لأنك كفرت، والكافر حل قتله.

فقال له حسين: يا أمير المؤمنين

ذكر المحببة يا مولاي أسكرنى

وهل رأيت محببا غير سكران؟

ثم بكى بكاء شديدا وأنشد يقول هذا الشعر الأتى ذكره كما ترى:

لَمَّا ذَكَرْتُ عَذَابَ النَّارِ أَرْعَجَنِي

ذَاكَ التَّذَكُّرُ عَنْ أَهْلِ وَأَوْطَانِي

وَصِرْتُ فِي الْقَفْرِ أَرْعَى الْوَحْشِ مُنْقَرِدًا

كَمَا تَرَانِي عَلَى وَجْدِي وَأَخْزَانِي

وَذَا قَلِيلٌ عَلَى مِثْلِي، جُرْمَتِهِ

فَمَا عَصَى اللَّهَ عَبْدٌ^(٢) مِثْلَ عِصْيَانِي

نَادُوا عَلَى فِي مَجَالِكُمْ هَذَا

الْمُسِيءُ وَهَذَا الْمُذْنِبُ الْجَانِي

(١) فى الاصل: (إن كنت مجنون)، وكذلك (إن كنت سكران نحيق).

(٢) فى الاصل: (عبدًا).

قال الراوى يا سادة :

فلما فرغ حسين من شعره ، قال له الخليفة :

يا حسين إن أهل بغداد، وعلماءها يريدون مناظرتك ، ومجادلتك .

فقال له : حباً وكرامة أحضرهم بين يديك .

فقام الخليفة ، وأرسل خلفهم ، وأحضرهم ، وأكرمهم غاية الإكرام ، وقال لهم :

هذا حسين قد أحضرناه بين أيديكم فما تقولون فيه ؟

فقال له الفقهاء والعلماء : يا حسين أنت تُكذِّب المؤذن فما يكون عندك فى هذا

الكلام ؟ فإنه لا يكذِّب المؤذن إلا من كفر ، وحل حرقه ، فما تقول فى هذا الكلام ؟

فقال لهم : لا تخذلونى بكلامكم .

فقالوا له : بين لنا ذلك .

فقال لهم : احضروا لى فى هذا المكان حفيرة^(١) واملأوها بالفحم والنار ، وأنا

أبين لكم ذلك .

فقاموا فى الحال ، وحفروا له حُفيرة واملأوها بالفحم وأطلقوا فيها النار حتى

بقى جمرا .

فقال حين : احضروا لى أمير المؤمنين .

فحضر فقال حسين : يا أمير المؤمنين هات هاون نحاس ، فأمر الخليفة بإحضار

هاون نحاس ، وكان وزنه أربعين رطلاً ببغداديا ، فلما أحضروه قام حسين وألقاه فى

وسط النار ، وصبر عليه حتى بقى جمرة نار ، ففر حسين وجلس على الهاون ،

وقام ووقف على رجله فى وسط النار على الهاون ، وقال لهم : يا علماؤنا ، ويا

فقهاؤنا ، ويا عامة ، ويا سوقة ، ويا أهل بغداد ، كل من كان منكم يريد مناظرتى

ومجادلتى فليجئ ويجلس معى فى هذه النار على هذا الهاون النحاس حتى

تحرق النار جميع بدنه .

(١) تصغير ؛ (حفرة) .

فلما سمعوا من حسين ذلك الكلام ولّوا الأدبار وركن^(١) الكل إلى الفرار .
فقال لهم حسين: يا ويلكم تهربون من نار الدنيا ولا تهربوا من نار الآخرة،
فمن أراد أن ينجو^(٢) من نار الآخرة فلا يأكل الحرام، ولا يظلم الأيتام، ولا يترك
الصلاة والصيام، ثم إنه صار يحدثهم ويوعظهم وهو واقف^(٣) على الهاون في
النار .

فلما زاد به الغرام من العشق والهيام حط أصابعه في أذنيه وقال: الله أكبر، الله
أكبر، فانطفأت^(٤) النار .

وتفرق الهاون، وصار ستين قطعة .

فقال حسين: يا أمير المؤمنين لو قال المؤذن الله أكبر، بصدق الإشارة لما حملته
هذه المنارة، وكانت تفتتت من تحت أقدامه الحجارة، أنا ما كذبت في المقال وإنما
كذبت في الكلام^(٥) فإني نظرت إلى ديك العرش .

فلما رأت أهل بغداد منه هذه الكرامة، ولّوا الأدبار وركنوا^(٦) إلى الفرار، وولوا
هاربين وقالوا ليس لنا به طاقة .

فقام حسين تمشى، وجاء إلى عند شيخه، ونام عنده تلك الليلة، وإذا برجل قد
دخل على الخليفة، وكان اسمه خالد وناولته ثمانين فتوى^(٧) . على حسين الحلاج
بالكفر، وتلك الفتاوى من أربعة وثمانين عالما من علماء بغداد، وعلماء الشام
وعلماء مصر، إن في قتل الحلاج إصلاح للمسلمين^(٨) .

فلما قرأهم الخليفة، وفهم معنائهم، أرسل إلى الشيخ الجنيد يعلمه بالقصة من

(١) في الأصل: (واركنوا) . (٢) في الأصل: (فمن الراء ادلينجا) .

(٣) في الأصل: (وهو واق) . (٤) في الأصل: (فانطقت) .

(٥) مرة أخرى أعود إلى هذه الإشارة وأعدل صياغة النسخ التي كان يجب أن تكون على هذا النحو: «أنا ما كذبت في المقال ولكن كذبت في الحال» أي الحال التي هو عليها وقت الأذان .

(٦) في الأصل: (وأركنوا) . (٧) في الأصل: (فتوه) .

(٨) يريد الإشارة هنا إلى إدانة علماء هذا العصر هل كان الحلاج في حاجة إلى أربعة وثمانين فتوى حقًا . ومن علماء بغداد والشام ومصر!

أولها إلى آخرها، وليس في الإعادة إفادة^(١) وقال له: يا شيخ أجانا^(٢) الأمر إليك في قبض حسين الحلاج وأرسله إلى عندي مكتف^(٣) حتى إننا نقاصصه^(٤) بما يوجب في شرع الله تعالى، لأنه زاد في كفره.

فلما سمع الجنيد من الخليفة هذا الكلام منك حسين وكتفه كتافا وثيقا، وبعث به^(٥) إلى الخليفة يقول له: يا خليفة الله في أرضه، أرسلت حسين إلى بين يديك تفعل به ما قدر الله تعالى عليه، وما يوجب عليه في الشرع الشريف.

فلما نظر حسين روحه مكتف، وهو^(٦) بين يدي أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا، وأنشد يقول الآتي ذكره:

سَلِمَتْ رُوحِي مِنَ الْبَلَوِ لِمُتْلِفِهَا
إِلَّا لِعِلْمِي بَأَنَ الْمَوْتِ يُخْفِيهَا
نَفْسُ الْمُحِبِّ عَلَى الْإِقْمَانِ صَابِرَةٌ
لَعَلَّ مُمَرِّضُهَا يَوْمًا يُدَاوِيهَا
وَتَنْظَرُهُ مِنْكَ يَا مُؤَلِّي وَيَا أَمِلِي
أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
وَلَيْسَ لِلنَّفْسِ أَمَالٌ تُؤَمِّلُهَا
سِوَى رِضَاكَ قَدْ أَقْصَى أَمَانِيهَا^(٧)

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره قال له شيخه: يا حسين اصبر فإن الوقت قد قرب،

(١) عكس المثل القائل «في الإعادة إفادة».

(٢) في الأصل: (الجانا).

(٣) الصحيح (مكتفا).

(٤) المقصود: نفتص منه.

(٥) في الأصل: (وبعث إليه إلى الخليفة).

(٦) في الأصل: (وهو).

(٧) أوردها الشيبى في الديوان ببعض تغييرات وقال هي من الأبيات المنسوبة للحلاج ثم أوردها في هامش الصفحة قائلاً: لعلها لشبابة بن الوليد العذرى من رجال القرن الثاني الهجرى.

انظر الأبيات في الديوان ص ١٢٨ الطبعة الثانية مقطع ٦٢.

والأجل قد حضر. سلمها تسلم. لقد أتعبتني، وأتعبت نفسك. وأتعبنا الخليفة والعلماء والفقهاء والعامة والسوقة وأهل بغداد. وأنا أقول لك أكنتم سرّاً وإلاً ما تسلم.

فلما سمع من شيخه هذا الكلام علم أنه مقتول لا محالة^(١) فالتفت يمينا وشمالا وقال: اتنى بدواة وقرطاس. فأتوه بما طلب. فكتب فيه يقول:

«لكم مهجتي طوعاً، لكم مهجتي رضى، لكم جسدى منى لكم دمي حلوا». ثم إنه ألقى^(٢) الورقة فى الهواء^(٣) فغابت ساعة ثم رجعت إليه مكتوب فى قفاها^(٤).

أنت إن كنت منا وتريد قـرب وصلنا
أطعنا^(٥). قتل النفوس فى شرعنا حلوا أقرب^(٦)

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حين من هذا الكلام بكى بكاءً شديداً حتى أغشى عليه. فلما أفاق أنشد يقول:

أَقْتُلُونِي يَا ثِقَاتِي^(٧) إِنَّ فِي قَتْلِي حَيَاتِي
وَحَيَاتِي فِي مَمَاتِي وَمَمَاتِي فِي حَيَاتِي

فما تم كلامه إلا وأخذوه إلى المصلب، وقطعوا يديه، ورجليه والخليفة واقف ينظر. وجميع الناس كذلك. فبينما هم واقفون^(٨) وحين أنشد يقول:

أَقْتُلُونِي وَاحْرِقُونِي فِي عِظَامِي الْبَالِيَاتِ
تَجِدُوا مِرَّ حُبِّي فِي طَوَى الْبَاقِيَاتِ

(١) فى الاصل: (لامحا فلتنت).

(٢) فى الاصل: (فى الهوى).

(٣) فى الاصل: (طعنا).

(٤) فى الاصل: (ياثقا).

(٥) فى الاصل: (ألقا).

(٦) أى ظهرها الآخر.

(٧) هكذا فى الاصل.

(٨) فى الاصل: (واقفين).

فَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ عَظِيمِ السَّيِّئَاتِ
أَقْتُلُونِي يَا ثَقَاتِي إِنَّ فِي قَتْلِي حَيَاتِي

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره، وإذا بشيخين عظيمين من أكابر بغداد. وكان الخليفة يسمع لقولهم، وحديثهم لأنهم كانوا عنده فى أكمل المنازل، فى الإشارة. وكان لا يأخذ إلا بشهادتهم. وكانوا قضاة بغداد^(١)، وأكبر علمائها.

فلما دخلوا على الملك الخليفة. وترحموا. بعد ذلك رد عليهم السلام وقال: ما شأنكم. فقالوا: نشهد أن حسين الحلاج قد كفر لأنه كان ماشياً ذات يوم فى السوق، وعليه جبة صوف. فقال له الناس:

أبصرتنا يا حسين ما فى جييك؟ فقال لهم: الله^(٢).

فعند ذلك لامه العلماء، ونحن معهم. فقال لهم: اذهبوا فهذا معبودكم. وأشار إلى الأرض بأصبعه.

فقالوا: كيف تعمل معبودنا فى الأرض، ونحن نعبد الله وحده لا شريك له.

فقال: ايتونى^(٣) بقفه ومسحه. فحفر موضع ما أشار لهم فبان كثر ذهب. فقال لهم: يا قضاة أنتم تبيعون دينكم بدنياكم. ولم تعبدوا الله على الحقيقة.

وقال حسين: يا سادتى العلماء. أما قولى لكم الاول فى قضية الجبة فى قولى إن فيها الله. هى أنا من مصنوعاته. والكلام على الكثر. فإنكم تعملون بالذهب الحق باطلاً. والباطل حقاً^(٤). فكأنكم عبدتم الذهب، ولم تعبدوا الله تعالى عن حقيقة. لأن فى الحقيقة من أحب شيئاً سوى الله ورسوله صار عبده.

فلما سمع الخليفة ذلك أمر أن يحبسوه تلك الليلة، وأن يقيده، ويزنجره^(٥)،

(١) قاضى القضاة. مترلة تعلق مترلة القاضى فقط.

(٢) من المقولة الشهيرة عنه: «ما فى الجبة غير الله».

(٣) فى الأصل: (أتونى).

(٤) فى الأصل: (والباطل حق).

(٥) والزنجرة: هى ربطه بالجنزير. وكان المقروض أن يقول يجنزروه. نسبة إلى الجنزير.

ويكتفه في عامود رخام. فعند ذلك دخل عليه رجل من الأولياء الكبار. وكان من أصحابه وسلم عليه ووجده بتلك الحالة في أسوء حال.

فقال له حسين: ما جاء بك في هذه الليلة.

فقال: يا مولاي جئت أسألك عن ثلاثة أشياء عن الصبر، والفقر، والولاية.

فقال له حسين: بات عندي، وأنا أريك الليلة اثنين وغداً أريك الثالثة.

فنام تحت رجله إلى قليل من الليل. فنعس تحت رجله حسين. لأنه كان مصلوباً^(١) في عامود، واقفاً لا يستطيع الجلوس. فما حس إلا وشيء يحس عليه وينبهه ويقول له:

- أفق يا شيخ فلان.

فقال: من ينهني؟

فقال له حسين: أما قلت^(٢) لي أريني الثلاث كرامات؟

فقال له: من فكك من الحديد.

فقال: الله تعالى.

وأخذه بيده، وجاء به إلى سور^(٣) السجن. فأشار حسين بيده إلى الخائط فانفتح، وبان عن فلاة واسعة وهي تقيد أضواء من نور الشمس، والقمر، والنهار، وذلك في ظلمة الشهر.

فقال لحسين: ما هذا النور يا سيدي؟

فقال: اذهب وتفرج في ذلك الوادي من اللؤلؤ والرطب. والصغير من الحصى^(٤) جواهر. والحجارة الكبار من الكهرمان، وأنواع كثيرة.

فرجع إلى حسين وأعلمه الخبر فقال له:

(١) في الأصل: (لأن حسين كان مصلوب). بالإضافة إلى الخطأ النحوي يوجد تكرار للاسم.

(٢) في الأصل: (ما قلت).

(٣) في الأصل: (صور).

(٤) في الأصل: (الحصى).

أنت سألتني عن الصبر، والفقر. فأنت رأيتني وأنا صابر على السجن، والضيق في الحديد، ولم أفك نفسي.

والثاني: لما ضربني السجان على ثمن الزيت صارحتي يضيء السجن، ولم أعطه الدرهم الفرد، والله تعالى قدّرني على أن تبقى الرمال معادن. ولم أعط السجان منها شيئاً. فهذا الصبر، والفقر. ولما يقتلونى أريك الثالثة وهي الولاية.

فلما كان صبيحة ذلك النهار أرسل وراءه الخليفة إلى بين يديه. فسلم أمره إلى الله تعالى. وكف نفسه، وبرك، وصبر، واحتسب بالله للقضاء والقدر قال: فلما رأت المشايخ والأولياء منه هذه الكرامات وهذه الفضائل. قام الشيخ الشبلي^(١)، رضى الله عنه، وخرج بالفقراء^(٢)، وهم ستون فقيراً^(٣) في تكبير وتهليل لله رب العالمين. وخرج شيخ الجنيد ومعه أربعين فقيراً وهم في تكبير وتهليل لله رب العالمين. فكادت مرابريهم تقطر من حزنهم على حسين الحلاج. وعلا في بغداد الذكر والضجيج حتى خيل إلى أهل بغداد أن الأرض قد خسفت بهم.

(١) الشيخ الشبلي.

هو: أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي كان من مشاهير المشايخ، وكانت حياته خالية من كل شائبة، وتمتع بكمال الوقت مع الله. قال عنه صاحب كشف المحجوب.

الشبلي: سكية الأحوال وصفية المقال.

وامتدح الكثيرون إشاراته في طريق التصوف قيل إنه ابن رئيس حجاب الخليفة وقد تاب في مجلس خير النّساج وصار بعد ذلك مريداً للجنيد، واتصل بكثير من المشايخ. وأهمهم الحسين بن منصور الحلاج صحبة في كثير من أموره. وكان يقول مثلي مثل الحلاج إلا أنه تكلم وأنا صمت.

وكان يقول: المعرفة أولها الله وآخر مالا نهاية.

وكان يقول أيضاً: (العارف لا يكون لغيره لاحظ ولا لكلام غيره لا فظاً.

وكان يقول: المحب إذا لم يتكلم هلك والعارف إذا تكلم هلك.

وحكى: أن رجلاً صاح في مجلس لـشبلي فرمى به في دجلة وقال: إن كان صادقاً نجاه الله تعالى كما نجى موسى (عليه السلام) وإن كان كاذباً أغرقه كما أغرق فرعون.

تفقه الشبلي على مذهب الإمام مالك وكتب الحديث الكثير عاش سبعاً وثمانين سنة وتوفي سنة ٣٣٤ هـ ودفن ببغداد في مقبرة الخير زان وقبره فيها.

انظر كشف المحجوب للهبجويري ص ١٨٥.

وانظر الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٨٩.

(٢) في الأصل: (بالفقر). (٣) في الأصل: (وهم ستين فقير).

فقام الشيخ الجنيد شيخ حسين الحلاج وقال له :

- يا ولدى يا حسين ألك حاجة قبل فراق الدنيا، حتى أفوز بقضائها^(١)؟.

فقال: نعم. أريدك أن تحضر لى أختى الخنونة حتى أتى أوصيها بوصية من بعدى. فذهبوا إلى أخته، وأتوا بها. فحضرت مكشوفة الوجه فقال لها أخوها حسين:

يا أختى أما تحمى وجهك من هولاء الرجال.

ف قالت: يا أخى وأين الرجال؟ لو كانوا رجالاً ما أنكروا حال الرجال.

فقال لها: يا أختى بهذا قدر الله تعالى. وبهذا يعرف الله تعالى، ولا مفر من قضاء الله وقدره. وقد نفذت فى دعوة الشيخ الجنيد. وأريد أن أوصيكى،

يا أختى بهذه الوصية:

إذا رأيتم قد حرقونى خذى من رمادى كمشة^(٢)، وصرّيتها عندك، واحتفظى بها. بعد ثلاثة أيام تفيض الدجلة على أهل بغداد حتى أنهم يعاينوا الفرق. فيأتون إليك^(٣)، ويتضرعون^(٤) بين يديك. فقومى وخذى من ذلك الرماد الذى عندك^(٥) وذرى منه قليلاً فى ذلك الماء. وقولى له: ارجع يا مبارك من حيث أتيت. فإن أخى قد حلل جميع من أتى عليه. لأجل عين تكرم مرج عيون. لأجل شيخى الجنيد، رضى الله عنه.

فلما سمعت أخته منه هذه الوصية. وهذا الكلام بكت بكاءً شديداً وأنشدت تقول الشعر الآتى ذكره كما ترى:

يَا عَيْنُ إِيكِي عَلَى حَبِيبِي وَاسْجَعِي

عَلَى شَقِيقِي وَأَيْضاً قِطْعَةَ الْكِيدِ

(١) فى الأصل: (بقضاها).

(٢) (فيأتوا إليك) هكذا فى الأصل.

(٣) فى الأصل: (عندكى).

(٤) مقدار قبضة اليد الواحدة.

(٥) فى الأصل: (يتضرعوا بين يديكى).

كُنَّا جَمِيعًا شَبِيهَ رُوحَيْنِ فِي جَسَدٍ^(١)
لَا نَفْتَرِقُ أَبَدًا مِنْ سَائِرِ الْأَبَدِ^(٢)
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ شَمْلًا كَانَ مُجْتَمِعًا
وَحَلَفَ الْحُزْنَ وَالْأَشْجَانِ فِي كَبِدٍ^(٣)
فَلَمْ أَزَلْ بِأَكْبِيَّةٍ مَا دَمْتُ بِأَقْبِيَّةٍ
وَكَيْفَ يَبْقَى زَرْعُ مَالِهِ عَضْدٍ^(٤)
أَقُولُ عَسَى عَطْفَةٌ يَمُنُّ عَلَيَّ بِهَا
رَبِّي وَيَجْمَعُنَا فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ^(٥)

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغت أخت حسين من شعرها . بكى حسين بكاءً شديداً . وأنشد يقول
هذا الشعر الآن ذكروه .

غَفَلْتُ وَحَادِي الْمَوْتُ فِي طَلْبِي يَجِدُ
وَأَنْ لَمْ أَمُتْ يَوْمًا فَلَا بُدَّ مَا أَمَدُ
أَنْعَمَ جِسْمِي بِالثَّيَّابِ وَلَيْسَ بِهَا
وَلَيْسَ الْجِسْمِي مِنْ ثِيَابِ الْإِلَّا بُدُّ^(٦)
كَأَنِّي وَقَدْ مِتُّ فِي بَرْزَخِ الْإِلَّا
وَمِنْ فَوْقِي رَدَمٌ وَمِنْ تَحْتِي اللَّحْدُ^(٧)

(٢) فى الأصل : (سائر الأبدى).

(٤) فى الأصل : (عضدى).

(٦) فى الأصل : (بدوا).

(١) فى الأصل : (فى جدى).

(٣) فى الأصل : (فى كبدي).

(٥) فى الأصل : (الخلدى).

(٧) فى الأصل : (للحدوا).

وَقَدْ مُجِيتَ تِلْكَ الْمُحَاسِنِ كُلَّهَا
وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ الْعَظَمِ لَحْمٌ وَلَا جِلْدٌ^(١)
سَأَلْتُ إِلَهَ الْعَرْشِ يَغْفِرُ زَلَّتِي
فَقَدْ يَغْفِرُ الْمَوَلَى إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ^(٢)
وَمَالِي شَفِيعٌ غَيْرُ جَاهٍ مُحَمَّدٍ
وَمِنْ جَاهِهِ فِي الْحَشْرِ: أَنْ لَيْسَ لَهُ رَدٌّ^(٣)
عَلَيْهِ صَلَاةٌ مَا لَاحَ بَارِقٌ وَمَا
هَطَلَتْ سُحُبٌ وَمَا قَهَقَه الرَّعْدُ^(٤)

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من كلامه بكت أخته بكاءً شديداً وأنشدت تقول هذه الايات
الآتى ذكرها.

أَقُولُ وَقَدْ أَسْبَلْتُ فِي اللَّيْلِ عِجْرَتِي
عَلَى صَاحْنِ خَدَيَّ مِنْ فُرَاقِ أَحِبَّتِي
أَخْبَابُنَا أَنْتُمْ نَيْبُكُمْ عَنْهُمْ وَدَنَا
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَلَى بُعْدِ الدِّيَارِ وَوَحْدَتِي
أَرَى كُلَّ مَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ مِنَ الْهَوَى
يَعَالِجُ أَشْوَاقِي وَيَشْكُو كَشْكُونِي
لَأَنِّي غَرِيبٌ فِي الْبِلَادِ مُوَجِعٌ
أَقَاسِي أَلِيمَ الْبُعْدِ فِي كُلِّ بَلَدَتِي

(٢) فى الاصل: (العبدوا).

(٤) فى الاصل: (الرعدوا).

(١) فى الاصل: (ولا جلدوا).

(٣) فى الاصل: (ليس له ردوا).

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغت^(١) أخته من شعرها. بكت بكاءً شديداً وودعت أخيها، وباسته، وعانقته. فغمى عليهما، وقد سقطوا إلى الأرض. فظنت الناس أنهم قد ماتوا فعند ذلك تباكت المشايخ، والفقراء، وأهل بغداد وزاد بهم الوجد والهيام. فلما أفاقوا من غشوتهم^(٢).

وقد أعلنت بالبكاء والنحيب وقد أنشدت تقول:

بَكَتْ عَيْنِي عَلَى تَقْصِيرِ حَالِ
وَصَرَفَ الدَّهْرِ فِي تِلْكَ اللَّيَالِ
وَطُولُ الْحُزْنِ بَعْدَ حَبِيبِ قَلْبِي
وَحُزْنِي زَائِدٌ كَيْفَ أَخِي إِلَى
وَمَنْ أَرْجُوهُ يَا أَخِي يَكُنْ لِي
إِذَا بَقِيَ النَّسَاءُ بِلَا رَجَالِ
أَخِي لَمْ أَرَلِ الدَّهْرَ أَبْكِي
وَقَلْبِي مُسَوِّجٌ مِنْ سُوءِ حَالِي
أَخِي كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْكَ وَأَسْلُو
وَتَهْنَأُ عِيْشَتِي فِي ذِي اللَّيَالِ
أَلَا يَا نَاسُ مَا تَرْتَوُوا لِحَالِي
وَحُزْنِي زَائِدٌ زَادَ انْتِـحَالِي

(١) فى الأصل: (فى الأصل: (فرغ).

(٢) تركت صياغة هذه الفقرة دون تعديل خوفاً من ضياع روحها.

أَخِي لَا تَنْسَى^(١) عُهُودِي
وَلَا تَنْسَ الْمَوَدَّةَ وَالْمَقَالِ

قال الراوى يا سادة :

فلما فرغت أخته من شعرها . قامت وودعت أخيها^(٢) . وسارت إلى منزلها وهي حزينة القلب ، زاهلة اللب . لا تبرد نارها ، ولا يقر قرارها لأجل أخيها المظلوم .

قال الراوى يا سادة :

فعند ذلك نادى المنادى ، وهو المشاعلى فى مدينة بغداد :
«ألا يا أهل بغداد ، ويا أهل البلدان ومعاملة بغداد . كل من أراد أن يتفرج على قتلة^(٣) حسين الحلاج فليحضر . يا أمة محمد بالعَجَلِ» .

قال الراوى يا سادة :

فما إن أتم كلامه حتى حضر أهل بغداد ، ولم يبق فى بغداد لا كبير ولا صغير ، ولا ابنة ، ولا امرأة ، ولا شيخ ولا رجل إلا وقد حضر فى تلك الساعة . وقد خلت بغداد من أهلها . وقد ازدحمت الخلق . بعضها على بعض . حتى بقى^(٤) القدم على القدم اثنين وسبعين قدم ثم أتى به المشاعلى إلى تحت المصلب ، وربطه بعد أن قطع يديه ورجليه . فأتى شيخه الجنيد ليودعه . فالتفت إلى حسين الحلاج . فراه^(٥) يتنسم ، وهو صامت لا يتكلم ، ولا يتألم . فعانقه^(٦) شيخه ، وباسه وودعه . وقال له :

يا حسين لا تنسى العهد والصحة ، والترية . بينى وبينك يوم القيامة .

(١) فى الاصل : (ات تنسا) ، (ولا تنسا المودة) .
(٢) فى الاصل : (وودعت أخوها) .
(٣) لعل الناسخ أراد على قتل حسين أو «مقتلة حسين» .
(٤) فى الاصل : (بقا) .
(٥) فى الاصل : (فراه) .
(٦) فى الاصل : (فاعتقه) .

فقال له: السمع والطاعة لله ثم لك يا شيخى، واغنموا الأجر^(١).

وأنشد يقول:

قَفُّوا وَدَعُّوْنَا نَظْرَةً وَاغْنَمُوا الْأَجْرَ

بِفِرَاقِكُمْ مِنَّا الدَّمْعُ قَدْ جَرَى بَحْرًا
وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَكْثَمُ مِرْكُمُ

قَلَمَا جَرَى دَمْعِي تَهَتَّكَ بِالسَّنْرِ
وَكَانَ مَعِي عَقْلِي وَسَمْعِي وَنَاطِرِي

وَذَا الْيَوْمُ لَا عَقْلَ مَلَكَتْ وَلَا صَبْرَ
سَلُّوا حَادِي الْأَظْمَعَانِ يَرْفُقُ سَرِكُمُ

فَأَرْوَا حُنَّا مَا بَيْنَ أَظْعَانِكُمْ تَسْرِ
تَرَكْتُمْ رُبُوعَ الْعِزِّ مِنْ بَعْدِ أَنْسِهَا

خَرَابًا وَوَحْشًا وَهِيَ مُظْلِمَةٌ قَفْرِ
سَأَلْتُ يَا رَبُّ ابْنَ الْحُسَيْنِ

فَهَدَيْنَاهُمْ فِي النِّيَّاتِ لَنَا دُخْرِي^(٢)
وَأَيْنَ وَجُوهٌ كَانَ نُورُ جَمَالِهِمْ

إِذَا مَا تَبَدَّتْ تُخَجِّلُ الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ
أَجَابَ لِسَانُ الْحَالِ عَنْهُمْ لَقَدْ مَضُّوا

فَأَنْدَبَهُمْ وَأَبْكَ بِمُقْلَتِكَ الْعَبِيرَ
فَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَجِينِي مُبَشِّرُ

يَقُلْ لِقُودَادِي يَا قُودَادِي لَكَ الْبِشْرُ

(١) (واغنموا الأجر) هكذا يجب. لأنه يخاطب شيخه الجنييد وربما أراد توسعة على آخرين من تحقيق أمله انظر القصيدة التالية.

(٢) هكذا ورد هذا البيت بالأصل.

وَأَنْزَلَ رُوحِي فِي لِقَاءِ أَحِبَّتِي
وَأَسْجَدَ لِرَبِّي حِينَ أَلْقَاهُمْ شُكْرِي

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ حسين من شعره بكى شيخه بكاءً شديداً، وأنشد يقول:
رَحَّلُوايَ فَيَ قَلْبِ الْمُتَيَّمِ خَيِّمُوا
قَانَا الْحَزِينَ لِفَقْدِهِمُ وَالْمُفْرَمُ
وَمَا كَانَ أَحْلَى فِي الْعُيُونِ جَمَالُكُمْ
وَيَلَدْتُ فِي سَمْعِي حَدِيثًا عَنْكُمْ
ضَاقَتْ بِي الدُّنْيَا لَغَيْبَةِ حُسْنِكُمْ
لَا أَوْحَشَ إِلَّاهُ الْمَنَارِ مِنْكُمْ
يَا بُنَى قَدْ شَتَّتَ شَمْلِي بَعْدَهُمْ
وَأَصَابَ قَلْبِي مِنْ شَهَامِكَ أَسْهُمُ
وَأَذَقْتَنِي التَّفْرِيقَ مِنْهُمْ لَوْعَةً
كَسَادَتْ لَهُ رُوحِي تَذُوبٌ وَتَغْدَمُ
غَابَ أَقْمَارُ الْحَيِّ تَحْتَ الشَّرَى
فَلَوْلَا جَمَالُكُمْ لَمْ أَكُنْ قَدْ أَقْسَمُ
وَلَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى التَّصَبُّرِ سَيِّدِي
فَوَجَدْتُ قَلْبِي قَدْ تَرَحَّلَ مَعَكُمْ

قال الراوى يا سادة:

فلما فرغ شيخه من شعره، ودعه وسار وفي قلبه لهيب النار. من أجل فراق
حسين الحلاج لأنه ربه مثل ولده. فعند ذلك رمى الجلاد الحبال على الخشب.
وقال لهم: اسحبوه.

فلما سار على الخشب. رأى من تحته خلق كثير مثل الجراد المنتشر. فأدار وجهه إلى القبلة وزعق. وقال:

«يا أهل بغداد، ويا فقهاء، ويا علماء، ويا مشايخ، ويا فقراء، ويا أمة محمد. الفاتحة في صحائفكم، وفي صحائف من أحسن ومن أساء».

قال الراوى:

فلما سمعت الناس^(١) من حسين هذا الكلام ماجوا. كما يموج البحر الزاخر. وزاد بهم البكاء والنوح، والعلائل والصراخ. وزعقت الفقراء، وتوارت المشايخ، وتصارخت الرجال. وثار العيل وعلا القتام، وعاد النهار كالظلام. وقد خيل للناس أن السماء قد وقعت عليهم، وأن الأرض قد خفت بهم. وكادت الفتنة أن تقع بينهم.

فقال لهم حين:

يا مشايخ، ويا فقراء. لا تزعجوا أرواحكم فإننى قد حللت كل من أساء إلى لأجل شيخى الجنيد، ولأجل عينه تكرم ألف عين. فلما فرغ حسين من هذا الكلام قال لهم الجلاد:

«أرجموه» فرجمه الناس بالحجارة وهو يضحك ويتسم، رضى الله عنه، ويقول:

«طيب، طيب فى الأرض الحبيب. ما أحسن المحبوب ومشاهدة الحبيب».

فقام شيخه الجنيد ورجمه بوردة حمراء رماء بها فقال حسين:

«آه يا شيخى. آلمتنى وقتلتنى».

وبكى بكاءً شديداً من تلك الوردة. وقال شيخه: الناس قد رجموك بكل شيء فما تأذيت إلا من وردتى.

قال:

أما تعلم أن ضرب المحب يؤذى.

(١) فى الاصل: (النار) وهى تخالف السياق.

وأخذ فى النزاع إلى أن مات. ثم أنزلوه، وحرقوه بالنار إلى أن لم يبق منه شيء. وقد وقعت الخدمة على بغداد فأنت أخته، وأخذت من رماده شيئاً. وتركه عندها. فبعد مدة ثلاثة أيام، من موت حسين طافت الدجلة على بغداد، وخرجت إلى الدور، والقصور. فتصارخت النساء، وتهاربت الرجال. وصعدت إلى الأسطح، والمآذن. وكثر الضجيج والعجيج، والأمر المريج.

فبلغ الماء إلى نصف الحيطان. وقد أخذ الأطفال وغرقت العجائز الكبار. قال: فاستغاثت الناس بأخت الحسين الحلاج. فخرجت وأخذت رماد أخيها وصعدت به إلى مكان عادل، ورمت به فى الماء.

وقالت له:

يا أيها الماء يسلم عليك أخى حسين الحلاج ويأمرك أن تهمد. فإنه قد حلل كل من أساء إليه لأجل شيخه الجنيد.

قال فهمد الماء من ساعته، وسكن، وتراجعت الناس تنظر من فقد منهم. فأروا أناس كثيرين فقدوا: غرقا فى الماء. وراح شيء كثير فى الماء من الأرزاق وغيرها. وقد فرحوا بإزالة الماء.

وهذا ما انتهى إلينا من قصة الحلاج، ومن ترحم لنا. قلها:

اللهم اغفر لنا، وإلى أرواح والدينا، وإلى كل المسلمين أجمعين.

وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة نهار الجمعة عشرة أيام خلت من شهر شعبان المبارك الذى هو من شهور سنة تسعة وتسعين ومائة وألف من الهجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، وسلم ورضى الله عن أصحاب رسول الله أجمعين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. قد تمت على يد عبده الفقير المعترف بالذنب والتقصير عيد خليل السكرى الحنفى مذهباً. النقشبندى طريقة. عامله الله بلطفه الخفى. ولطف به فى جميع أموره. ورحم الله أسلافه. وجميع أمة محمد ﷺ برحمته وهو أرحم الراحمين.

مختارات للحلاج

نبذة من الطواسين

طاسين السراج

وددت أن أرفق خلف هذا النص جزءاً من طواسين الحلاج وهو: «طاسين السراج». ليتعرف القارئ الذي لم تيسر له ظروف الاطلاع على أعمال الحلاج أن يقترب من فكره، ولغته الصافية، وروحه المشعة فيما بين الكلمات. وقد اقتطعت هذه الفقرة أو هذا الجزء المسمى بطاسين السراج من النسخة التي حققها بولس نوياسيوس والذي نشرته جامعة القديس يوسف في بيروت سنة ١٩٧٢ ثم أعادت نشره دار النديم للطباعة والنشر والتوزيع تحت عنوان «كتاب الطواسين».

طس السراج

سراج من نور الغيب بدا، وعاد وجاوز السرج وساد. قمر تجلى من بين الأقمار. كوكب برجه في فلك الأسرار. سماه الحق «أمياً» لجمع همته، وحرماً لعظم نعمته، ومكياً لتمكينه عند قربته شرح صدره، ورفع قدره، وأوجب أمره، وأظهر بדרه، طلع بדרه من غمامة اليمامة، وأشرقت شمس من ناحية تهامة، وأضاء سراج من معدن الكرامة.

ما أخبر إلا عن بصيرته، وما أمر بستته إلا عن حسن سيرته. حضر فأحضر، وأبصر فأخبر. وأندر فحذر.

ما أبصره أحد على التحقيق، سوى الصديق. لأنه وافقه، ثم رافقه لتلا يقى بينهما فريق.

ما عرفه عارف إلا جهل وصفه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

أنوار النبوة من نوره برزت، وأنواره من نوره ظهرت؛ وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم في القدم سوى نور صاحب الحرم.

همنه سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم: لأنه كان قبل الاسم والشيم. ما كان في الآفاق، ووراء الآفاق، ودون الآفاق أظرف، وأشرف، وأعرف، وأنصف، وأراق، وأخوف، وأعطف من صاحب هذه القصة، وهو سيد أهل البرية، الذي اسمه أحمد، ونعتة أوحده، وأمره أوكده، وذاته أجوده، وصفاته أمجد، وهمته أفرد.

يا عجباً ما أظهره، وأبصره، وأظهره، وأكبره، وأشهره، وأنوره، وأقدره، وأصبره. لم يزل. كان مشهوراً قبل الحوادث والكوائن والأكوان؛ ولم يزل. كان مذكوراً قبل القبل، وبعد البعد، والجوهر والألوان. جوهره صفوى، كلامه نبوى علمه علوى، عبارته عربى، قبلته لا مشرقى ولا مغربى، حَسْبُ أبوى، رفيقه ربوى، صاحبه أموى.

يأرشاده أبصرت العيون، وبه عرفت السرائر والضمائر. والحق أنطقه، والدليل أصدقه، والحق أطلقه. هو الدليل، وهو المدلول. هو الذى جلا الصدا عن الصدر المعلوم. هو الذى أتى بكلام قديم، لا محدث ولا معقول ولا مفعول. بالحق موصول غير مفصول، الخارج عن المعقول هو الذى أخبر عن النهاية والنهايات، ونهاية النهاية.

رفع الغمام، وأشار إلى البيت الحرام. هو التمام. هو الهمام. هو الذى أمر بكسر الأصنام هو الذى كشف الغمام. هو الذى أرسل إلى الأنام، هو الذى ميّز بين الإكرام والإحرام.

فوقه غمامة برقت، وتحت برقة لمعت وشرقت وأمطرت وأثمرت. العلوم كلها قطرة من بحر، الحكم كلها غرفة من نهر، الأزمان كلها ساعة من دهر.

الحق به، وبه الحقيقة. والصدق به، والرفق به، والفتق به، والرتق به. هو الأول في الوصلة والآخر في النبوة والظاهر بالمعرفة والباطن بالحقيقة.

ما وصل إلى علمه عالم، ولا اطلع على فهمه حاكم.

الحق ما أسلمه إلى خلقه، لأنه هو، وأنى هو، وهو هو.

ما خرج خارج من ميم «محمد»، وما دخل في حائه أحد.

حاء وميم ثانية، والذال وميم أوله. داله دواؤه، ميمه محله، حاؤه حاله، ميم ثانية مقاله.

أظهر إعلانه، أبرز برهانه، أنزل فرقانه، أنطق لسانه، أشرق جنانه، أعجز فرانه، أثبت بنيانه. رفع شأنه.

إن هربت من ميادينه فأين السبيل بلا دليل يا أيها العليل وحكم الحكماء عند حكمته ككثيب مهبل!«.

ومعلوم أنه هنا يتحدث عن الحقيقة المحمدية.

فهرست تفصیلی
یوضح النقاط الأساسية
فی القصة مع العناوين
الداخلية للدراسة

فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	١ - الإهداء
٥	٢ - مقدمة الطبعة الثانية
٩	٣ - مقدمة الطبعة الأولى
١١	٤ - حدس الجماعة الشعبية
٢٣	٥ - وماذا عن السجن ...
٣٠	٦ - الحلاج: تاريخ ومعالم
٣٧	٧ - محاكمة الحلاج
٣٨	٨ - هيئة المحكمة
٤٠	٩ - مؤلفات الحلاج
٤٤	١٠ - مصادر ترجمة الحلاج
٤٦	١١ - مخطوطة الكتاب
٤٨	١٢ - منهج التحقيق
٥٠	١٣ - نماذج من صور المخطوطة الوحيدة التي تبين حالها وأهميتها
٥٧	١٤ - قصة الحلاج: وما جرى له مع أهل بغداد (النصّ الأصلي)
٥٩	١٥ - حلم الأم بالولد
٦٠	١٦ - ذهابها إلى الشيخ الجنيد
٦٠	١٧ - خدمة الحلاج في الزاوية
٦١	١٨ - ورقة الولاية
٦١	١٩ - شرح الحلاج حاله
٦٥	٢٠ - ذهابه إلى السوق
٦٦	٢١ - ذهاب أهل بغداد إلى إلى الشيخ الجنيد أول مرة

- ٢٢ - حبسه فى المخزن ٦٩
- ٢٣ - حله للقطن ٧٣
- ٢٤ - كرامة التديل ، وغياب الحلاج ٧٦
- ٢٥ - أمر الشيخ الجنيد له بالدخول إلى السجن ٨١
- ٢٦ - كرامة المركب داخل السجن ٨٤
- ٢٧ - قصة المؤذن ٨٧
- ٢٨ - إعلام الخليفة بالامر ٨٨
- ٢٩ - وقوفه أمام الخليفة ٩٤
- ٣٠ - طلب المناظرة ٩٥
- ٣١ - مشهد المناظرة ٩٥
- ٣٢ - كرامة المناظرة ٩٦
- ٣٣ - ذهابه إلى المصلب ٩٨
- ٣٤ - فتنة الشيخين الاكابر ٩٩
- ٣٥ - شرحه لقوله ما فى الجبة إلا الله ٩٩
- ٣٦ - مقتله ١٠١
- ٣٧ - دخول أخته وآدائها معه ١٠٢
- ٣٨ - ضرب المحب ١٠٩
- ٣٩ - طوفان أخت الحسين ١١٠
- ٤٠ - الخاتمة ١١٠
- ٤١ - زمن النسخ ١١٠
- ٤٢ - اسم الناسخ ١١٠
- ٤٣ - مختارات للحلاج ١١١
- ٤٤ - طاسين السراج ١١٣
- ٤٥ - فهرست تفصيلى يوضح النقاط الأساسية للقصة مع الدراسة ١١٧

